على مائدة العقيدة

١٣

الحياة البرزخية

بحث عن امتداد حياة الإنسان بعد الرحيل
من الدنيا وأن له من الشؤون ما للموجود الحي
في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح.






بسم الله الرحمن الرحیم

الحیاه البرزخیه : تبحث عن امتداد حیاه الانسان بعد الرحیل من الدنیا ...

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

معاونیهٔ شوون التعلیم و البحوث الإسلامیهٔ فی الحج

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الحیاه البرزخیه

اشارهٔ

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، ۱۳۱۸

عنوان و نام پدیدآور : الحیاه البرزخیه : تبحث عن امتداد حیاه الانسان بعد الرحیل من الدنیا .../ جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم الممثلیه الولی الفقیه لشوون الحج و الزیاره معاونیه شئون التعلیم و البحوث الاسلامیه فی الحج [مشعر]۱۳۷۶.

مشخصات ظاهری : ص ۱۰۰

فروست : (علی مائده العقیده ۱۳)

یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : برزخ موضوع : برزخ -- جنبه های قرآنی شناسه افزوده : بعثه مقام معظم رهبری در امور حج و زیارت معاون آموزش و تحقیقات رده بندی کنگره : BP۲۲۲/۲۴ /س ۲ح ۹ ۱۳۷۶

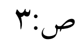
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۸۰۱۲

ص:۱

اشارهٔ





ص:۴۰

المقدمهٔ

قال اللَّه تعالی وتبارک:

«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوات بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

البقرهٔ/ ۱۵۴

وقال عزّ من قائل:

«قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِی يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِی رَبِّی وَجَعَلَنِی مِنَ الْمُكْرَمِينَ» یس/ ۲۶-/ ۲۷

لمّا انتهت معرکهٔ بدر بانتصار عظیم، وقف النبی الأکرمصلی الله علیه و آله یخاطب قتلی المشرکین واحداً واحداً ویقول:

یـا أهـل القلیب، یا عتبـهٔ بن ربیعـهٔ ویا شـیبهٔ، ویا امیّـهٔ بن حلف ویا أبا جهل و ... هل وجـدتم ما وعـدکم ربّکم حقّاً، فإنّی وجـدت ما وعدنی ربّی حقّاً.

فقال له بعض أصحابه: یا رسول اللَّه أتنادی قوماً موتی.

فقالصلی الله علیه و آله: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولکنّهم لا یستطیعون أن یجیبونی».

السیرهٔ النبویّهٔ ۱: ۶۴۹؛صحیح البخاری ۹: ۹۸ کتاب الجنائز

ص:۵

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وبه وحده نستعين وعليه وحده نتوكل

والحمد للَّهربّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد رُسُله، وخاتم أنبيائه وآله ومن سار على خطاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بالعقيدة الصحيحة لأنّها تشكّل حجر الزاوية فى سلوكهم ومناراً يضىءُ دروبهم وزاداً لمعادهم.

ولهذا كرّسَ رسُولُ اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم فى الفترة المكيّة من حياته الرسالية نفسه لإرساء أُسس التوحيد الخالص، ومكافحة الشرك والوثنية، ثم بنى عليها فى الفترة المدنيةصَرحَ النظامِ الأخلاقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسىّ.

ولهذا- ونظراً للحاجةِ المتزايدة- رأينا أن نقدّم للأُمةِ الإسلاميّة الكريمة دراسات عقائدية عابرة مستمدَّةٍ من كتاب اللَّهِ العزيز، والسُنّةِ الشريفة الصحيحة، والعقل السليم، وما اتَّفق عليه علماءُ الأُمةِ الكرام، واللَّه الموفِّق.

معاونيّة التعليم والبحوث الإسلاميّة



ص:۷

تقديم

ابن تيميّة وأثر منهجه فى العقيدة والشريعة

فى العصر الذى تحالفت فيه الوثنيّة والصليبيّة على تدمير الإسلام وتحطيم كيانه فى أراضيه، والذى ينبغى فيه للعالِم المسؤول فى مثل هذا الظرف الحرِج، أن يتصدّى لهذه المواقف الخطيرة، ويعمد إلى تجميع القوى وتكريسها، ليكون المسلمونصفاً واحداً ويداً واحدة وقوة حامية للإسلام أمام الزحف الوثنى القادم من المشرق، المتمثل آنذاك فى الهجمة المغوليّة الشرسة المدمِّرة، والزحف الصليبى القادم من الغرب، المتمثّل فى الحملات النصرانية الحاقدة، على مقدسات المسلمين فى فلسطين.

فى مثل هذا العصر نرى من يطرح نفسه عالماً دينيّاً عارفاً بالكتاب والسنّة، يطرح على الساحة قضايا ومسائل من شأنها تعكير الصفو، وبلبلة الأذهان، وشقّ الصفوف، وبالتالى تضعيف القوة الإسلامية التى قوامها الوحدة.

أفيمكن والحال هذه وصف مثل هذا الشخص بأنّه عالم عارف أو

ص:۸

شیخ إسلام أحیی السنّة وأمات البدعة؟!

لقـد کانت النصاری بالمرصاد للمسـلمین وکان من أمانیّهم الاستیلاء علی القـدس الشـریف، وانتزاعه من أیدی المسـلمین بحجّة کونه مولِد المسیح، وقبلـة النصاری، ولهذا شـنّوا الغارة تلو الغارة، والحملة تلو الحملة علی بلاد المسـلمین من أواخر القرن الخامس (۴۹۱) إلی أواسط القرن السابع، وکانت للحروب الصلیبیة هذه مراحل ثمان انتصر المسیحیون فی بعضها وهزمت قواتهم فی البعض الآخر.

وقد تحمّل المسلمون جرّاء هذه الحملات الکبری خسائر کبری، لا یستطیع البنان واللسان عدّها وإحصاءها، ولا تصویرها، وبیانها.

وفیما کان الجرح نازفاً من جهة الغرب، تعرّضت البلاد الإسـلامیة من ناحیة الشـرق من عام ۶۱۳ ه لحملة شعواء، وثنیة الجذور لإقتلاع الإسـلام من أساسه والقضاء علی أُصوله وفروعه وإبادة حضارته ومـدنّیته إلی أن سـقطت الخلافـة العباسـیة بأیدی أُولئک الوثنیین عام ۶۵۶، وکانت الخسائر فی النفوس والأرواح کبیرة قاربت الملیون، بل أکثر.

وبقی التدمیر والحرب سائدَین فی البلاد إلی أواخر هذا القرن، بل امتدا إلی أواخر القرن الثامن.

ثم وقعت فی الشـمال الغربی من البلاد الإسـلامیة أعنی الأندلس کارثة أُخری، هی إبادة المسـلمین وتصفیتهم بقتلهم أو بترحیلهم عن بلادهم وأوطانهم بأعداد کبیرة وهائلة.

فإذا نظرنا إلی الجدول التاریخی نری أنّ هذه القرون الأربعة تعدّ من شرّ القرون علی العالم الإسلامی حیث فیها:

ص:۹

۱- ابتدأت الحروب الصليبية من عام ۴۹۱ واستمرت إلى عام ۶۶۰ ه.

۲- ابتدأت الحروب التترية (المغولية) من عام ۶۰۳ وانتهت عام ۸۰۷ ه.

۳- أُبيد المسلمون فى أوطانهم بإسبانيا والأندلس، أو رحّلوا من عام ۶۰۹ إلى عام ۸۹۸ ه.

ففى هـذه الظروف المأساويـة المتّسـمة بالقتل والتنكيل والتشـريد، والهدم، والمقرونة بتحريق المكتبات وتدمير الثقافة الإسـلامية، نرى أحمد بن عبد الحليم بن تيمية يطرح مسائل باسم التوحيد والشرك ويُقسِّم المسلمين إلى قسمين: موحّد ومشرك، والأول هو مَن يتبع خطواته وأفكاره، والثانى هم المخالفون وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين.

فهل- ترى- طرحت هذه المسائل المفرقة لصفوف المسلمين بدوافع إيمانية، وبحجة الدفاع عن حوزة الدين والإيمان.

أو أنهّ كان وراء الأكمة ما وراءها، وأنّه كانت هناك وراء الكواليس أُمور أُخرى، يعلمها اللَّه.

أو أنّ طـارح هـذه الأفكـار كـان إنسانـاً ساذجاً ومغفّلًا غير واقف على مصالـح الإسـلام والمسـلمين ولا عارف بما يصـلحهم فى ذلك الظرف العصيب وما يفسدهم.

وبكلمة قصيرة: ما كان يعرف الداء ولا الدواء.

ونحن لا نقضى بشيء عليه فالتاريخ خير قاضٍ، والعلم عند اللَّه تبارك وتعالى.

ص:۱۰

وعلى أیّ نحو فسّر موقفُ الشخص المذکور، فقد أنتج هذا الموقف ثلاث نتائج سیئة، لم تزل آثارها الخطیرة باقیّة إلی الآن:

۱- الحطّ من شأن الأنبیاء والأولیاء والصالحین والشهداء والصدّیقین، وإنزالهم من مقاماتهم المعنویة العالیة التی أعطاهم اللَّه إیاها بجهادهم، وإخلاصهم، ووفائهم للعقیدة ودفاعهم عن الشریعة.

۲- تعریض الآثار الإسلامیة للمحو والإبادة والطمس والهدم، علی حدّ لا یبقی من آثار النبیّ والمسلمین الأوائل شیء یدل علی وجودهم، وعلی تفانیهم وتضحیاتهم، لو أُتیح لأتباع هذه الفکرة، وأنصار هذا الرجل أن ینفِّذوا کل مآربهم، ومرامیهم.

وبالتالی لوْ وُفِّقوا لذلک، لَتحوّل الإسلام فی رؤیة الأجیال المستقبلة إلی صورة أُسطوریة لا واقع لها ولا أساس، إلّابین الکتب والأوراق، أو فی عالم الأذهان والأفکار.

۳- تفریغ الدین من محتواه الداخلی، الغنی، حیث قاموا بتفسیر القرآن بحرفیته، فأثبتوا للَّهسبحانه الجسمانیة، الجهة، والمکان، وسائر ما تتمتع به المخلوقات من الأوصاف والحالات، وما لها من الأعضاء والجوارح.

وهذا واضح لمن طالع رسائل الرجل المذکور، وکتاباته.

هذه أبرز النتائج التی ترتّبت علی هذا المنهج الفکری الذی قدّمه ابن تیمیة، ولکنّه لم یوفّق لتأصیل وتعمیم ما کان ینویه ویهدف إلیه ویسعی إلی نشره وحمل الناس علیه، وذلک لأنّه:

أوّلًا: واجه مخالفة العلماء الکبار من جمیع المذاهب فی البلاد المنعمة بالعلم والإیمان، والحبّ للرسول وآله فی مصر والشام

ص:۱۱

وغيرهما، ولأجل ذلک بقيت فكرته بذرة فی ثنايا الكتب تنتظر أرضية مناسبة لنموّها، وتجدّدها.

ثانياً: واجه ما كان المسلمون مفطورين عليه من حبٍّ للإسلام، والرسالة المحمديّة الشريفّة، وتعلّق فطری سليم بالرسول الكريمصلی الله عليه و آله وآثاره، وما كان مركوزاً فی أذهانهم منذ قرون من مشروعية لمظاهر التكريم والتبجيل للأنبياء والأولياء والصالحين.

وكانت الظروف على هذه الحال، ولم تكن مناسبة لنموّ وتوسع هذه البذرة إلى أن انتقلت إلى أراض قاحلة من العلم والمعرفة من بقاع نجد، فسقيت البذرة على يد محمّد بن عبد الوهاب النجدی (۱۱۱۵- ۱۲۰۶) فأخذت البذرة تنمو بين قوم امّيين لا يعرفون المعارف الصحيحة، بل تغلب عليهم البداوة والجاهلية، وقد استغل محمّد بن عبد الوهاب هذا النمط من الناس لتعميق هذه الفكرة، ودعمها وإشاعتها، ومن سوء الحظ أنّ أمير المنطقة محمّد بن سعود (حاكم الدرعية)، من إمارات نجد، أيّده فی فكرته واتّفقا على المناصب والدعم المتقابل، وبذلک عادت الفكرة إلى الساحة باسم الوهابية، وأخذت تنمو شيئاً فشيئاً بين أعراب نجد وما حولها، وقد وقعت مناوشات وحروب دامية بين هذه الفرقة والخلافة الإسلامية العثمانية مرات، بفضل القوات المصرية التابعة للخلافة آنذاک.

وفی خلال الحرب العالمية الأُولى انهارت الخلافة الإسلامية وتبدّلت إلى ملكيات، وإمارات يحميها الاستعمار البريطانی والفرنسی، فاستولی أمير الوهابية عبد العزيز بن سعود على مكة والمدينة عام ۱۳۴۴، وبذلک سيطروا على أقوى مركز من مراكز التبليغ والدعوة،

ص:۱۲

وصار لهم نشاط نسبیّ فی تبلیغ الفکرهٔ ونشرها، وکبح الألسن وإلجامها والسیطرهٔ علی المخالفین والمعارضین.

ومع ذلک لم یکن النجاح حلیفهم إلی أن اکتُشِفَت فی المنطقهٔ الشرقیهٔ (الظهران) أکبر معادن البترول، فصار أمیر الوهابیهٔ یملک أکبر ثروهٔ فی العالم سخّرها لصالح قبیلته، ونشر الفکرهٔ التی نشأ علیها هو وآباؤه، ولولا هذه الظروف الإتفاقیهٔ لا تحسّ منهم من أحد، ولا تسمع لهم رِکْزاً.

إنّ التاریخ یعید نفسه، ففی الوقت الذی تشنّ القوی الکافرهٔ من الصهاینهٔ والصلیبیین، الغارهٔ تلو الغارهٔ علی الأطفال والشباب لمسح هویتهم الإسلامیهٔ بشتی الوسائل، حتّی أنّ الإنجیل قد ترجم فی عقر دار المسلمین بمختلف اللغات الدارجهٔ فی البلاد الإسلامیهٔ.

ففی هذا الوقت العصیب الذی تدمع عین الإسلام دماً، نری الوهابیین مستمرین علی تهدیم الآثار الإسلامیهٔ الباقیهٔ، بمعاولهم الهدامهٔ تحت غطاء توسیع المسجدین، موزعین ملایین الکتب والأشرطهٔ، کلّها مکرَّسهٔ للهجمهٔ الشرسهٔ علی المسلمین قاطبهٔ والشیعهٔ الإمامیهٔ خاصهٔ، ولا ـ تتبنی من العلم الصحیح الناجع لداء المسلمین الیوم، شیئاً، سوی أنّ البناء علی القبور وتقبیل الضریح والتوسل بالأولیاء وطلب الشفاعهٔ منهم شرک وبدعهٔ.

فیاللّه وللمسلمین بهذا التفریق والتبدید، والإسراف والتبذیر، أما آن لهؤلاء المغفلین أن ینتبهوا من غفلتهم ویسعوا فی سبیل وحدهٔ المسلمین، مکان تفریقهم وتذلیلهم لهم، إذا کانوا یعتبرون أنفسهم مسلمین؟

ص:۱۳

وعلى كلّ تقدير، فنحن أمام هذه الحادثة الكارثة التى هزّت وحدة المسلمين وجعلتهم فريسة للمستعمرين ووسيلة للتقاتل والتخاصم والتنازع والتناوش، مكان بذل الجهد وتكريس التعاون لأهم الأُمور وهو حفظ استقلالهم والتخلّص من مخالب المستعمرين وتنشيط اقتصادهم وتجديد سيادتهم على العالم.

وهنا نحن نغضّ الطرف عن جميع ما ذكرنا وندعو علماء الوهابية فى الحجاز والرياض أن يقيموا مؤتمراً إسلامياً يحضره علماءُ من كافة المذاهب الإسلامية، لدراسة مسائل عديدة- مّما يتميز بها الوهابيون عن غيرهم- فى جوّ هادئ تسيطر عليه الروح الموضوعية والعلمية، والبعيدة عن السيطرة السياسية حتى يتبيّن الحقّ عن الباطل، وتتم الحجة على الجاحد، ولعلّ فى هذا المؤتمر نجاح الإسلام والمسلمين وتوحيد الكلمة، كما أنّ لهم كلمة التوحيد.

وبما أنّ الحياة البرزخيّة بعد الانتقال من الدنيا، هى الأساس لنقد دعاياتهم وعقائدهم خصّصنا تلك النشرة لتحقيقها والبرهنة عليها بالكتاب والسنّة والعقل الصريح، فى ضمن فصولٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد للّهربِّ العالمين

جعفر السبحانى

ص:۱۴

ص:۱۵

الفصل الأول حقیقهٔ الإنسان، روحه ونفسه

اشارهٔ

لم یزل الإنسان عبْر القرون یبحث عن الحیاهٔ وحـدّها ومنشـئها ومُنتهاها بحثاً حثیثاً، کی یقف علی معالمها وآثارها وکیفیهٔ حدوثها بین الموجودات الحیّهٔ.

وقـد أدّی هذا البحث والولع الشدیدین إلی نشوء قسم مختص یعرف ب «عالم الأحیاء»، وقد کرّس لفیف من العلماء جُلَّ أعمارهم فی سبیل ذلک وخرجوا بنتائج باهرهٔ معروفهٔ.

والغایـهٔ القصـوی من دراسـهٔ الظـاهرهٔ الحیاتیـهٔ، هی الوقـوف علی واقعِ الإنسـان، وهـل هو عبـارهٔ عن هیکـل مـادیّ متکوّن من عروق وأعصـاب وعظـام وغیرهـا من المکوّنـات المادیـهٔ فحسب، أم أنّ هناک وراء هـذا المظهر المادّی جوهراً آخراً یشـکِّل حقیقـهٔ الإنسان ویُشیّد واقعه والإنسان به یکون إنساناً؟

وبعبارهٔ اخری: إنّ الباحث یحاول أن یقف علی ذاته وواقعه، وانّه هل هو موجود آلیّ مرکب من أدوات مادیهٔ مختلفهٔ تتفاعل أجزاؤه

ص:۱۶

بعضها ببعض، أو أنّ وراء هذا الموجود الآليّ حقيقة قدسية هی واقع الإنسان وهی المدبّرة لما تراه وتظنّه إنسانا؟

فالعلماء فی هذا المجال علی رأيين:

الأول: الإنسان موجود آلی مركّب من عرق وعصب ولحم وعظم، وما الشعور إلّانتيجة تفاعل هذه الأجزاء بعضها ببعض، وليس وراءَ هذا التركيب المادیّ أیّ وجود آخر باسم الروح والنفس وأنّ الإنسان يفنی بموته وبه تنتهی شخصيتة و «ليس وراء عبّادان قرية» وقد انطلت هذه النظرية فی القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علی كثير من الباحثين فی الغرب، وبذلک قاموا بنفی العوالم الغيبيّة وراء المادة، وحسِبوا أنّ الوجود يساوی المادة وهی أيضاً تساويه، وبذلک شيّدوا المذهب المادّی فی ذينک القرنين.

الثانی: إنّ واقع الإنسان الذی به يعدّ إنساناً، هو نفسه وروحه، وليس جسمه إلا أداة بيد روحه وجهازاً يعمل به فی هذا العالم المادّی، وهذا لا يعنی أنّه مركّب من جسم وروح، بل أنّ الواقع فوق ذلک، فالإنسان هو الروح، والجسم كسوة عليه، ونِعْمَ ما قيل:

يا خادَم الجسم كَمَ تشقی بخِدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

ومن حسن الحظ أنّه فی الوقت الذی كان المادّی يرفع عقيرته وينادی بأنّه ليس وراء المادة شیءٌ أثبتت البحوث العلمية بطلان هذه النظرية، فقام الروحيون بنشر رسائل عديدة وكتب كثيرة تشتمل علی تجاربهم وأدلتهم فی هذا المضمار، فبذلک دمّروا ما بُنی من تفكّرات مادية بمعاولهم العلمية.

وبما أنّ بحثنا فی هذه الرسالة يعتمد علی الكتاب والسنّة فنترک

ص:۱۷

أدلّتهم للقارئ الكريم للبحث عنها فى مظانّها، ولكن قبل أن ندرس قضاء الكتاب والسنّة فى المقام نأتى ببعض الأدلّة العقلية التى تتجاوب وشعور قرّائنا فإنّها دلائل واضحة- على أنّ وراء الجسم، واقعاً آخر باسم الروح- يخضع أمامها كل إنسان واع وإن لم يقرأ كتابا فلسفياً، ولم يقرع باب العلوم العقلية، لأنّ ما يمرّ عليه كلها امور وجدانية يحّس بها كلّ إنسان إذا تجرّد عن رأى مسبق.

أ- الشخصيّة الإنسانيّة المعبّر عنها ب «أنا»:

لم يزل كلّ واحد منّا ينسُب جميعَ أفعاله إلى موجود نعبّر عنه ب «أنا» ويقول: «أنا فعلت» «أنا أكلت» و «أنا ضربتُ» وربما ينسبها إلى الضمائر المتصلة القائمة مكان «أنا» فيقول: «قرأت»، «كتبت»، «أردت» و «أجبت»، فإذن يقع السؤال حول تعيين الموضوع الذى تنسب إليه هذه الأفعال، فما هو إذن؟ هل هو هذا الجسم المادّى، أو شىء آخر وراء ذلك؟ فلو كان الموضوع هو الجسم المادّى منه، لا يكون دليلًا على وجود جوهر آخر مجرد عن المادة وآثارها، ولو كان الموضوع أمراً غيره، يثبت به موضوع وراء المادة، مقترن بجسمه وحياته المادية.

ثم إنّنا ننسب أعضاءنا إلى شىء آخر وراء الجسم المادّى هذا ونقول: «رأسى» و «قلبى»، «بطنى» و «قدمى» فهذه أعضاء رئيسية للجسم المادىّ «الإنسان»، ومع ذلك فإنّنا ننسبها إلى شىء آخر وراء هذا الجسم المادّى.

وربما نتجاوز إلى أكثر من هذا فننسب نفس الجسم بأكمله إلى شىء آخر، فنقول: «بدنى»، فإذن ما هذا المضاف إليه فى جميع هذه

ص:۱۸

الانتسابات، من انتساب الأفعال والأعضاء والبدن بأكمله؟

وبما أنّ كلّ قضية تتركّب من موضوع ومحمول، فبداهة العقل تحكم بأنّ لهذه المحمولات موضوعاً وإن لم يكن مرئياً إلّاأنّنا ندركه من خلال هذه المحمولات.

وبعبارة واضحة: أنّ الأفعال البشرية رغمصدورها من أعضاء مختلفة كالإبصار بالعين، والرفع باليد، والمشى بالرجل، والسمع بالأُذن، فالإنسان ينسبها جميعاً إلى مصدر واحد، فيقول:

«أنا شاهدت»، «أنا مشيت» و «أنا سمعت» كما ينسب كلّ عضو من جسمه إلى مصدر كذلك، فإذن تتطّلب هذه المحمولات موضوعاً واحداً لنفسها، حتى لا تكون القضية مجرّد انتسابات بلا موضوع، وعندئذ يكون هذا المصدر الواحد هو الشخصية الواقعية للإنسان التى نعبرّ عنها بروحه ونفسه.

فالنتيجة: أنّ الشخصية الإنسانية تكمن وراء جسمه وصورته الظاهرية.

ب- ثبات الشخصية الإنسانية فى دوّامة التغييرات الجسدية:

إنّ كل واحد منّا يحس بأنّه باقٍ فى دوّامة التغيرّات والتحوّلات التى تطرأ على جسمه، فمع أنّه تمرّ عليه أحوال كثيرة وتبدّلات جوهرية خلال مراحل الطفولة، والصِّبا، والشباب، والشيخوخة، إلا أنّه يجد أنّ شيئاً واحداً ينسب إليه جميع هذه الصفات والحالات وهو باق خلال هذه التغييرات، غير متغير.

فيقول: أنا الذى كنت طفلًا، ثم يافعاً، ثم شاباً، ثم كهلًا، ثم شيخاً،

ص:۱۹

فيدرك أنّ هناك حقيقة باقية ثابتة رغم تغيير كلّ هذه الأحوال والأوضاع وتصرّم الأزمنة وانقضاء الأوقات، فقد تغير كل شىء خلال سبعين سنة ولكن هناك أمر باق لم يتغير ولم يتبدل وهو الذى يحمل تلك الصفات والأحوال، فالمتغير غير الثابت، والتغير آية المادية، والثبات آية التجرّد عن أحكام المادة.

بل نرى أنه ينسب إلى نفسه الفعل الذى قام به قبل خمسين سنة ويقول: «أنا الذى كتبت هذا الخط يوم كنت طفلًا» وهذا يعرب عن أنّه يدرك بوجدانه هو الذى كتب ذلك الخط سابقاً، فلو لم يكن هناك شىء ثابت إلى زمان نطقه بهذا الكلام لزم كذب القضية وعدمصّحتها، وذلك لأنّه لو كان الإنسان خلاصة الأجزاء المادية الظاهرة فالمفروض أنّها زالت وحدثت بعدها شخصيات جسمانية متعددة، فأين الإنسان أيامصباه، منه أيام شيخوخته، وقد تحوّلت وتبدّلت عظامه وعروقه وأعصابه فى دوامة التغيّرات وتحلّل منه كلّ شىء وتخلّفت عنه أشياء أُخر، مثلها شكلًا وغيرها حقيقة.

فعملية التغيّر فى جسمه مستمرة فما زالت الخلايا تتلف وتُستعاض بأُخر، ولكن الإنسان يرى نفسه ثابتاً فى مهب تلك التحوّلات، فكأنَّ هناك أمراً ثابتاً طيلة سبعين عاماً يحمل تلك التحولات، فهو يشعر فى جميع مراحل حياته أنه هو الإنسان السابق الذى وجد منذ عشرات السنين.

نفترض أنّ إنسانا جنى وله من العمر عشرون عاما، ولم يقع فى قبضة السلطات إلى أن ألقت القبض عليه وله من العمر ستون عاماً، فعند ذلك يقف فى قفص الاتّهام ليُحاكم على جرمه، فإذا به محكوم بالإعدام

ص:۲۰

على ما جبت يـداه بقتله أُناساً أبرياء، فلا القاضـى ولا الحاضـرون فى جلسة المحكمة يرون الحكم الصادر بحقّه جائراً، بل يراه الجميع أنّه وفق العدالة.

ولو كـان الإنسان عبارة عن جسم مادى، فقـد تغيرت خلاياه مرات عديـدة طيلـة تلك الأعوام، لكنّ الحاضـرين والقاضـى وكل سامع، يرى أنّه نفس ذلك الإنسان الجانى، فما هذا إلّالأنّ هناك حقيقة ثابتة فى دوّامة المتغيّرات، لم يطر أعليها أىّ تغيير، بل بقيت محفوظة مع كـل هـذه التبـدلات، وإذا كـان التغيّر منصـفات المادة، والثبات والـدوام منصـفات الموجود غيرالمادّى، نكتشف منذلك أنّ واقع الإنسان غيرمادّى وثابت فى جميع الحالات، وهذا ما نعبرّ عنه بالروح المجرّدة، أو النفس المجردة.

وأخيراً نقول: إنّ هـذا البرهـان غير البرهـان السـابق، فمنطلق الأـول هو وجود الموضوع لجميع المحمولاـت، ومنطلق البرهـان الثانى هو ثبات الموضوع فى دوّامة التحوّلات والتغيرات الطارئة على البدن.

وفى النهايـة نقول: وقـد لخص الرازى هـذا البرهان فى تفسيره وقال: إنّ أجزاء هـذا الهيكل أبـداً فى النموّ والذبول، والزيادة والنقصان والاسـتكمال والـذوبان، ولا شكَّ أنّ الإنسان من حيث هو هو أمر باق من أوّل عمره، والباقى غير ما هو غير باق، والمشار إليه عند كل أحد بقوله «أنا» وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل «(۱)».

ج- علم الإنسان بنفسه مع غفلته عن بدنه:

اشارة

ترى الإنسان يغفل فى ظروف خاصة عن كل شىء حتى عن بدنه

۱- الرازى: مفاتيح الغيب ۴: ۱۴۷.

ص:۲۱

وأعضائه، لكنّه لا يغفل عن نفسه، وهـذا برهان تجريبى يمكن لكلّ منّا القيام به، وبذلك يصح القول بأنّ للإنسان وراء جسـمه المادىّ حقيقهٔ أُخرى، حيث إنّه يغفل عن الأول ولا يغفل عن الثانيهٔ، وبتعبير علمى:

المغفول، غير المغفول عنه، وإليك توضيح ذلك:

إنّ إدراك هذه الحقيقهٔ (يغفل عن كل شيء حتى جسمه ولا يغفل عن نفسه) يتوقف على ظروف خاصهٔ بالشكل التالى:

۱- أن يكون فى جوّ لا يشغله فيه شاغل ولا يلفت نظره لافت.

۲- أن يتصور أنّه وجد فى تلك اللحظهٔ بالذات وأنّه كان قبل ذلك عدماً، وما هذا إلّاليقطعصلته بماضيه وخواطره قطعاً كاملًا.

۳- أن يكونصحيح العقل سليم الإدراك، فى تلك اللحظهٔ.

۴- أن لا يكون مريضاً لا يلفت المرض انتباهه إليه.

۵- أن يستلقى على قفاه ويفرّج بين أعضائه وأصابع يديه ورجليه حتى لا تتلامس فتجلب انتباهه إليها.

۶- أن يكون فى هواء طلق معتـدل لاـ حـار ولاـ بارد ويكون كأنّه معلّق فى الفضاء حتى لا يشـغله وضع المناخ، أو يلفته المكان الـذى يستند إليه.

ففى هذه الحالهٔ التى يقطع الإنسان كلصـلاته بالعالم الخارجى عن نفسه تماماً ويتجاهل حتى أعضاءه الداخليهٔ والخارجيهٔ ويجعل نفسه فى فراغ من كل شيء وعندئذ يستشعر بذاته، أى سيدرك شيئاً غير جسمه وأعضائه وأفكاره وبيئته التى أحاطت به، وتلك هى «الذات الإنسانيهٔ» أى الروح أو النفس الإنسانيهٔ التى لا يمكن أن تفّسر بشيء من الأعضاء والحواس والقوى.

ص:۲۲

وهـذه البينونـة أظهر دليل على أنّ للإنسان وراء جسـمه وأعضائه المغفول عنها فى بعض الظروف، حقيقـة واقعية غير مغفول عنها أبداً، وأنّ الإنسان ليس هو جسمه وأعضاؤه وخلاياه.

وقـد لخّص الرازى هـذا البرهـان وقـال: إنّى أكون عالماً بأنّى «أنا» حال، أكون غافلًا عن جميع أجزائى وأبعاضـى، والمعلوم، غير ما هو غير معلوم فالذى أُشير إليه بقولى مغاير لهذه الأعضاء والأبعاض «(۱)».

إلى هنا اكتفينا بالبراهين الواضحّة التى يسهل التمعّن فيها لكل إنسان واع وإن لم يدخل مدرسة كلامية أو فلسفية، وبذلك استغنينا عن الـبراهين المعقـدة الـتى أقامهـا الفلاسـفة على وجود الروح فى كتبهم، وبمـا أنّ رسالتنـا فى هـذه البحوث مقتصـرة على الاعتمـاد على الكتاب والسنّة، لذلك ندرس واقع الانسان وحقيقته على ضوء ذينك المصدرين ونكتفى فى هذا الحقل بآيات ثلاث.

القرآن وحقيقة الشخصية الإنسانية:

إذا استعرضـنا آيـات القرآن الكريم نقف، على أنهـا تـدلّ تـارة بوضوح وأُخرى بالاشـارة على أنّ واقع الإنسان وشخصـيته غير جسـمه المادىّ، ونحتج فى المقام بآيات:

الآية الاولى:

قال سبحانه: «قُلْ يَتَوفّاكُمْ ملكُ المَوتِ الّذى وكّل بِكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرجَعونَ» (السجدة/ ۱۱).

۱- الرازى: مفاتيح الغيب ۴: ۱۴۹

ص:٢٣

الآية تردّ على ادّعاء المشركين القائلين بأنّ الموت بطلان الشخصية وانعدامها، وأنّها منوطة بجسده المادى، بأنّ شخصيته قائمة بشىء آخر لا يضلّ ولا يبطل، بل يؤخذ عن طريق ملك الموت إلى أن يحشره اللّه يوم القيامة.

وإليك بيان الشبهة والإجابة، فى ضمن تفسير آيتين:

قال سبحانه:

١- «وقالُوا ءإذا ضَلَلْنا فى الأرض ءإنّا لَفى خلقٍ جَديدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرون»

٢- «قُلْ يَتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوتِ الَّذى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرجَعُون»

تدلّ هاتان الآيتان على «خلود الروح» بعد انحلال الجسد وتفكّكه وذلك بالبيان التالى:

كان المشركون يستبعدون إمكانية عودة الإنسان بعد تفكّك جسمه المادىّ وتبدّده فى التراب.

ولهذا اعترضوا على فكرة الحشر والنشر يوم القيامة، وقد عبر القرآن الكريم عن اعتراضهم بقوله:

«قالوا ءإذا ضَلَلنا فى الأرضِ ءإنا لَفى خَلق جَديد»

يعنى أنّ الموت يوجب فناء البدن، وتبعّض أجزائه، وضياعها فى ذرات التراب، فكيف يمكن جمع هذه الأجزاء الضّالة المتبعثرة، وإعادة تكوين الإنسان مرة أُخرى من جديد؟

فردّ القرآن الكريم هذا الاستبعاد والاعتراض بجملتين هما:

١- «بَلْ هُمْ بِلِقاء رَبِّهمْ كافِرون»

ص:۲۴

۲- «قُلْ يَتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوتِ»

فلا شك أنّ الجملـة الأُولى ليست هى الجواب على اعتراضـهم حول إمكانية إعادة المعدوم من أجزاء الجسد، بل هى توبيخ لهم على إنكارهم لقاء اللّه وكفرهم بذلك، وإنّما ترى الجواب الواقعى على ذلك فى الجملة الثانية، وحاصله هو: أنّ ما يضلّ من الآدمى بسبب الموت إنّما هو الجسـد وهـذا ليس حقيقـةُ شخصـيته، فجوهر شخصـيته باقٍ، وإنّ الـذى يأخـذه ملك الموت وينتزعه من الجسـد ليس إلّاالجانب الأصيل الذى به تناط شخصيته وهو محفوظ عندنا.

إذن فالضال فى التراب من الإنسان- بسـبب الموت- هو القشـر والبـدن، وأمّا حقيقته وهى الروح الإنسانيـة التى بها قوام شخصـيته، فلا يطالبها الفناء ولا ينالها الدثور.

التوفّى فىالآية ليس بمعنى الإماتة، بل بمعنى الأخذ والقبض والاستيفاء، نظير قوله سبحانه: «اللَّهُ يَتوفّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها» (الزمر/ ۴۲) وقوله تعـالى: «وهوَ الّـذى يتوفّـاكُمْ بِالليـلِ ويَعلَمُ مـا جَرحْتُمْ بِالنَّهـارِ» (الأنعام/ ۶۰) ومن قولهم «وافـاه الأجـل» وبعبـارة أُخرى: لو ضـلّ بالموت كلّ شىء من وجودكم لكان لاستبعادكم إمكان إعادة الإنسان وجه مقبول.

وأمّا إذا بقى مـابه واقعيتكم وحقيقتكم وهى النفس الإنسانيـة والروح التى بهـا قوام الجسـد، فلا يكون لهـذا الاسـتبعاد مبرّر، إذ تكون الإعادة حينئذ أمراً سهلًا وممكناً لوجود مابه قوام الإنسان.

قال العلامة الطباطبائى فى تفسير هذه الآية:

«إنّه تعالى أمر رسوله أن يجيب عن حجتهم المبنيّة على الاستبعاد، بأنّ حقيقة الموت ليس بطلاناً لكم، وضلالًا منكم فى

ص:٢٥

الأرض، بل ملَكُ الموت الموكَّل بكم يأخذكم تامّين كاملين من أجسادكم أی ينزع أرواحكم من أبدانكم، بمعنى قطع علاقتها من الأبدان، وأرواحكم تمام حقيقتكم، فأنتم أی ما يعنی بلفظة «كم»:

محفوظون لا يضل منكم شیء فی الأرض، وإنّما تضلّ الأبدان، وتتغيّر من حال إلى حال، وقد كانت فی معرض التغيّر من أوّل كينونتها، ثم إنّكم محفوظون حتی ترجعوا إلى ربكم بالبعث ورجوع الأرواح إلى أجسادها.

وبهذا تندفع حجّتهم على نفی المعاد بضلالهم سواء أقرّرت على نحو الاستبعاد أم قُرّرتَ على أنّ تلاشی البدن يُبطل شخصية الإنسان فينعدم، ولا معنى لإعادة المعدوم، فإنّ حقيقة الإنسان هی نفسه التی يحكی عنها يقول «أنا» وهی غير البدن، والبدن تابع لها فی شخصيته، وهی تتلاشى بالموت ولا تنعدم، بل محفوظة فی قدرة اللَّه حتی يؤذن فی رجوعها إلى ربها للحساب والجزاء فيبعث على الشريطة التی ذكر اللَّه سبحانه» «(١)».

الآية الثانية:

قال سبحانه: «يا أَيَّتُها النَّفسُ المُطمئِنَّةُ ارجِعِی إلى ربِّكِ راضيةً مَرضَّيةً فادخُلی فی عِبادی وَادْخُلِی جَنَّتی» (الفجر/ ٢٧- ٣٠).

فالآية لم تخاطب جسد الإنسان وأعضاءه كما ترى، بل واقعه وحقيقته التی يعبَّر عنها الذكر الحكيم بالنفس، واختار من بين النفوس الكثيرة النَفس المطمئنة وهی التی تسكن إلى ربَّها، وترضى بما رضی به

١- الميزان: ج ١۶: ص ٢٥٢.

ص:۲۶

لها، فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شرّ، أو نفع أو ضرّ.

ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى أو فقر، أو أيّ نفع وضّرٍ ابتلاءً وامتحاناً الهياً، فلا يدعوه تواترُ النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد، والعلوّ والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر.

ثم يخاطبها بخطاب آخر ويقول: «ارجعى إلى ربِّك راضيةً مرضيةً»، وظرف الخطابين من حين نزول الموت إلى دخول جنة الخلد، ثمّ يخاطبها بخطاب ثالث ورابع ويقول: «فَادخُلى فى عِبادى وادخلى جنّتى» وهما تفريعان على الخطاب الثانى الماضى أعنى «ارجعى إلى ربِّك ...» وقوله «فى عبادى» يدل على أنها حائزة مقام العبودية وفى قوله «جنّتى» تعيين لمستقرّها وفى إضافة الجنة إلى ضمير التكلم، تعريف خاص، ولا يوجد فى كلامه تعالى إضافة الجنّة إلى نفسه تعالى وتقدّس إلّافى هذه الآية «(۱)».

والمخاطب فى هذه الخطابات الأربعة، ليس جسده البارد الذيصار بالموت بمنزلة الجماد ولا عظامه الرميمة الدفينة فى طبقات الثرى، بل نفسه وروحه الباقية غير الداثرة.

ولوخُصَّ ظرف الخطاب بيوم البعثمن لدن إحيائها إلى استقرارها فى الجنة، لما ضرّ بالاستدلال وان كان على الوجه الأوّل أظهر.

والحاصل: سواء أقلنا بأنّ ظرف الخطاب هو زمان الموت أو قلنا بأنّه زمان البعث، فالمخاطب هو نفس الإنسان لا بدنه ولا أعضاؤه فتدلّ على أنّها واقعهُ والباقى كسوة عليها.

۱- الطباطبائى: الميزان ۲۰: ۲۱۳، مجمع البيان ۵: ۴۸۹.

ص:۲۷

الآیة الثالثة:

قال سبحانه: «فَلَولا إذا بَلغت الحُلْقوم وأنتم حِینئذٍ تَنظُرُونَ» (الواقعة/ ۸۳-/ ۸۴).

وجه الدلالة: أنّ الحلقوم جزء من جسمه فهناک أمر آخر یبلغ الحلقوم عند الموت ولیس إلّاالنفس التی تُنتقل من دار إلی دار.

ولو کانت حقیقة الإنسان هو جسده المادّی، فلا معنی للبلوغ ولا للنزوع والخروج.

وبـذلک یعلم أنّ بعض مـا سنسـتدل به فی الفصـل الآـتی، یـدل ضـمناً علی ما نحن الآن بصـدد بیانه، ولأجل ذلک نقتصـر فی المقام بالآیات الثلاث، ونحیل الاستدلال بغیرها إلی ما سیوافیک فی الفصل القادم.

ما هی حقیقة النفس الإنسانیة؟

إنّ کثیراً من القوی الطبیعیـة معروفة بآثارها لا بحقائقها، فالکهرباء نعرفها بآثارها، کما أنّ الذرّة أیضا کذلک، فالعالِم بالحقائق هو اللَّه سبحـانه، ولیس حظّ الإنسـان فی ذلک الباب إلّاالوقوف علی الآثار، فإذا کانت هی حال القوی الکامنـة فی الطبیعـة، فالروح أولی بأن تکون کـذلک، غیر أنّ کثیراً من المتکلّمین وبعض المحـدّثین خاضوا فی هـذا الباب ولم یأتوا بشـیء واضح، وأقصـی ما عندهم: أنّها جسم مخالف بالماهیـة لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوارنی، علوی، خفیف، حی، متحرک ینفذ فی جوهر الأعضاء ویسـری فیها سریان الماء فی الورد، والدهن فی الزیتون، والنار فی الفحم، فما دامت هذه الأعضاءصالحة لقبول الآثار الفائضة علیها من هذا الجسـم اللطیف، بقی ذلک

ص:۲۸

الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

قال ابن القيم: وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا ـ يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دلّ الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأدلّة العقل والفطرة «(۱)».

أقول: ما قاله ونقله ابن القيم، أحسن ما نقل عنهم في المقام، ولكن واقع الروح ومنزلته أرفع بكثير مما جاء في هذا الكلام، وتشبيهه بسريان الماء في الورد، والدهن في الزيتون والنار في الفحم يعرب عن سطحية الدراسة في المعارف الغيبية، وعدم التفريق بين مراتب الروح، فإنّ مرتبة منها يشبه بما ذكر، وأمّا المرتبة العليا أعني المخاطب بقوله سبحانه «يا أيّتها النفسُ المطمئنَّةُ ارجِعي إلى ربِّكِ راضيةً مَرضيةً فادخُلي في عِبادي وادخُلي جَنَّتي» فهي أرفع كرامة من أن يكون شأنها شأن الأُمور المادّية اللطيفة، والتفصيل موكول إلى محلِّه.

۱- ابن القيم« شمس الدين»: الروح: ۱۷۸.

ص:۲۹

الفصل الثانى استمرار الحياهٔ بعد الإنتقال من الدنيا أو بقاء الروح بعد الموت

اشارهٔ

قد تعرّفت فى الفصل السابق على أنّ واقع الإنسان روحه ونفسه، وأنّ الجسم المادّى منه ليس إلّاكسوهٔ عليه، والنفس هى اللبّ، والبدن قشره، وقد قرّبناه إلى ذهن القارىء تقريباً سهلًا مستندين فى ذلك على ما ورد فى الكتاب العزيز مضافاً إلى ما مر من قضاء العقل الصريح فى هذا المضمار.

ونركز فى فصلنا هذا على خلود الروح بعد الموت، وأنّها باقيهٔ بإذنه سبحانه إلى أن يرث اللّه سبحانه الأرض ومن عليها وما فيها، ونقتصرفى‌المقام- بدل‌الاستدلال بالبراهين العقليهٔ- عليصريح الآيات ونصوص الذكر الحكيم حتى لا يبقى لمريب ريب ولا لمشكّك شك.

الآيهٔ الأُولى:

قال سبحانه: «اللَّهُ يَتوفّى الأنفُسَ حِينَ مَوتها والتَّى لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِها

ص:۳۰

فَیُمسِکُ الّتی قَضَی عَلیها الموتُ ویُرسِلُ الأُخری إلی أجلٍ مُسمّیً إنّ فی ذلکَ لآیاتٍ لِقومٍ یتَفکَّرون» (الزمر/ ۴۲).

توضیح الاستدلال یتوقف علی التمعّن فی أمرین:

۱-/ المراد بالأنفس هی الأرواح المتعلّقة بالأبدان لا مجموعهما، لأنّ المقبوض عند الموت لیس هو المجموع، بل المقبوض هو الروح، والآیة تدل علی أنّ الأنفس تغایر الأبدان حیث تفارقها وتستقل عنها وتبقی بحیالها.

۲-/ إنّ لفظة «یتوفّی» و «یمسک» و «یرسل» تدلّ علی أنّ هناک جوهراً غیر البدن المادّی فی الکیان الإنسانی، یتعلّق به کل من «التوفّی» و «الإمساک» و «الإرسال» ولیس المراد من التوفّی فی الآیة إلّاأخذ الأنفس وقبضها، ومعناها أنّه سبحانه یقبض الأنفس إلیه، وقت موتها ومنامها، بید أنّ من قضی علیه بالموت یمسکها إلی یوم القیامة ولا تعود إلی الدنیا، ومن لم یقض علیه به یرسلها إلی الدنیا إلی أجل مسمّی، فأیة دلالة أوضح من قوله أنّه سبحانه یمسک الانفس، فهل یمکن إمساک المعدوم أو أنّه یتعلّق بالأمر الموجود ولیس ذلک إلّاالأنفس.

الآیة الثانیة:

قوله سبحانه: «ولا تَقولُوا لِمَنْ یُقتَلُ فی سَبیلِ اللَّهِ أمواتٌ بَلْ أحیاءٌ ولکنْ لا تَشعُرون» (البقرة/ ۱۵۴).

وقد جاء فی أسباب نزولها، أنّ المشرکین کانوا یقولون: إنّ أصحاب محمّدصلی الله علیه و آله یقتلون أنفسهم فی الحروب بغیر سبب ثم یموتون

ص:۳۱

فیذهبون، فأعلمهم اللَّه أنه لیس الأمر علی ما قالوه، بل هم أحیاء علی الحقیقة إلی یوم القیامة.

وأدب التفسیر الصحیح یبعثنا علی أن نفسر الحیاة بمعناها الحقیقی أی ما یفهمه عموم الناس من لفظة «حیّ» خصوصاً بقرینة الآیة الثالثة، حیث أثبتت للشهداء الرزق والفرح والاستبشار کما سیجیء، فتفسیر الآیة بأنّهم سیحیون یوم القیامة تفسیر باطل، لأنّ الإحیاء فی ذلک الیوم عام لجمیع الناس ولا یخصّ الشهداء، کما أنّ تفسیر الحیاة فی الآیة بمعنی الهدایة والطاعة قیاساً لها بقوله سبحانه: «أوَ مَنْ کانَ مَیْتَاً فَأحیَیناهُ وجَعلْنا لَهُ نُوراً یَمشی بهِ فی النّاس» (الأنعام/ ۱۲۲) حیث جعل الضلال موتاً والهدایة حیاة قیاس باطل، لوجود القرینة علی تفسیر الحیاة بالهدایة والموت بالضلال فیها دون هذه الآیة.

وسیوافیک تفنید هذین الرأیین عن الرازی فی تفسیر الآیة الثالثة.

ومعنی الآیة «ولا- تَقولوا لِمَنْ یُقتلُ فِی سبیلِ اللَّهِ أموات» إی‌لا- تعتقدوا فیهم الفناء والبطلان فلیسوا بأموات بمعنی البطلان، بل أحیاء ولکن حواسّکم لا تنال ذلک ولا تشعر به.

وعلی ذلک فالآیتان تثبت للشهداء حیاة برزخیة غیر الحیاة الدنیویة وغیر الأُخرویة، بل حیاة متوسطة بین العالمین.

الآیة الثالثة:

قال سبحانه:

۱- «ولا تَحسبنَّ الَّذینَ قُتِلُوا فی سَبیلِ اللَّهِ أمواتاً بلْ أحیاءٌ عندَ ربِّهِمْ یُرزَقُونَ».

ص:۳۲

۲- «فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضلِهِ ویَستبشرونَ بِالَّذینَ لَمْ یَلْحَقُوا بهِمْ مِنْ خَلفِهِمْ ألّا خَوفٌ عَلَیهِمْ ولا هُمْ یَحزَنُونَ».

۳- «یَستَبشِرُونَ بِنعمةٍ مِنَ اللَّهِ وفَضلٍ وأنَّ اللَّهَ لا یُضیعُ أجْرَ المُؤمنین» (آل عمران/ ۱۶۹-/ ۱۷۱).

والآیات هذهصریحة- کل الصراحة- فی بقاء الأرواح بعد مفارقتها الأبدان، وبعد انحلال الأجسام وتفکّکها کما یتّضح ذلک من الإمعان فی المقاطع الأربعة التالیة:

۱- «أحیاءٌ عند ربّهم».

۲- «یُرزَقون».

۳- «فَرِحینَ ...». ۴- «ویَستَبشِرونَ ...».

والمقطع الثانی یشیر إلی التّنعم بالنعم الإلهیة، والثالث والرابع یشیران إلی النعم الروحیة والمعنویة، وفی الآیة دلالة واضحة علی بقاء الشهداء بعد الموت إلی یوم القیامة.

وقد نزلت الآیة إمّا فی شهداء بدر وکانوا أربعة عشر رجلًا ثمانیة من الأنصار وستة من المهاجرین، وإما فی شهداء أُحد وکانوا سبعین رجلًا أربعة من المهاجرین: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمیر، وعثمان بن شماس، وعبد اللَّه بن جحش، وسائرهم من الأنصار، وعلی قول نزلت فی حقّ کلتا الطائفتین.

قال الرازی فی تفسیر الآیة: إنهم فی الوقت أحیاء کأنّ اللَّه أحیاهم، لإیصال الثواب إلیهم، وهذا قول أکثر المفسرین، وهذا دلیل علی أن المطیعین یصل ثوابهم إلیهم وهم فی القبور.

ص:۳۳

ثم أشار إلی التفسیرین الآخرین اللّذین أوعزنا إلیهما:

أحدهما: للأصم حیث فسّر الحیاة بالحیاة الدینیة وأنّهم علی هدی من ربهم ونوره.

وثانیهما: لبعض المعتزلة وأنّ المراد من کونهم أحیاء أنّهم سیُحیون.

ثم قال: إنّ أکثر العلماء علی ترجیح القول الأول.

ثم فنّد الرأین الأخیرین بوجوه نذکر بعضها:

۱- لو کان المراد ما قیل فی القول الثانی والثالث لم یکن لقوله «ولکن لا تشعرون» معنی، لأنّ الخطاب للمؤمنین وقد کانوا یعلمون «أنّهم سیحیون» یوم القیامة وأنّهم علی هدی ونور.

۲- إنّ قوله: «ویستبشرون بالَّذِین لم یلحقوا بهم» دلیل علی حصول الحیاة فی البرزخ قبل البعث، أی: ویستبشرون بأناس لم یلحقوا وهم فی الدنیا، فإذا کان هذا طرف الاستبشار فیکون هو طرف الحیاة ویکون قبل البعث.

۳- لو کان المراد أحد المعنیین لا یبقی لتخصیص الشهداء بهذا فائدة، فإنّ غیرهم وکثیر من غیر الشهداء علی نور وهدی من رّبهم.

وما أجاب به أبو مسلم أنّه سبحانه إنّما خصهم بالذکر لأنّ درجتهم فی الجنّة أرفع ومنزلتهم أرفع، ضعیف، لأنّ منزلة النبیین والصدیقین أعظم من الشهداء مع أنّه سبحانه ما خصهم بالذکر «(۱)».

بقی الکلام فی أمرین:

أ- فی إعراب الظرف أی «أحیاء عند ربهم»، ففیه احتمالات:

۱- الرازی: مفاتیح الغیب ۴: ۱۴۶.

ص:۳۴

۱- أن یکون حالًا فی محل النصب من الضمیر فی «أحیاء».

۲- أن یکون خبر بعد خبر: هم أحیاء عندهم.

۳- أن یکون ظرفاً للفعل المتأخر أی یرزقون.

والأول أقرب.

وعلی أیّ تقدیر فلیس «عند» هنا للقرب المکانی لاستحالته إذ لیس له مکان، ولا بمعنی فی علمه وحکمه لعدم مناسبته، بل یعنی القرب والشرف أی ذوزلفی ورتبة سامیة «(۱)».

ب- معنی قوله: «ویستبشرون» وأصل الاستبشار وإن کان بمعنی طلب البشارة، ولکن الظاهر أنّ اللفظة مجرّدة عن معنی الطلب، والمراد:

ویسرّون ویفرحون، استعمالًا للفظ فی لازم معناه هو معطوف علی قوله سبحانه: «فرحین» أی: یسرون ویفرحون بإخوانهم الذین لم یلحقوا بهم فی سبیل اللّه تعالی بأن یلحقوا بهم من خلفهم، لما تبیّن لهم حسن حال إخوانهم الذین ترکوهم أحیاء، وهو أنّهم عند قتلهم فی سبیل اللّه تعالی یفوزون کما فازوا ویحوزون من النعم ما حازوا بدلالة قوله:

«لا خوفٌ علیهم ولا هُمْ یَحْزَنُون».

ویمکن أن یکون المراد: یسرون بقدوم إخوانهم الباقین بالشهادة أو بالموت الطبیعی واللّه العالم.

الآیة الرابعة:

قوله سبحانه: «وجاءَ مِنْ أقْصَا المَدِینة رجلٌ یَسعَی قالَ یا قوم اتَّبِعوا المُرسَلِین اتَّبِعُوا مَنْ لا یَسأَلُکمْ أجراً وهُمْ مُهتدُونَ ومالِیَ لا

۱- الآلوسی: روح المعانی ۲: ۱۲۲.

ص:۳۵

أعبُدُ الَّذی فَطَرنی وإلَیهِ تُرجَعُونَ أأتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلهةً إنْ یُرِدْنِ الرَّحمنُ بُضّرٍ لا تُغْنِ عنِّی شَفاعتُهُمْ شَیئاً ولا یُنقِذونَ إنیّ إذاً لفی ضلالٍ مُبینٍ إنِّی آمَنتُ بِربِّکُمْ فَاسْمَعُونِ قیلَ ادخُلِ الجَنَّةَ قالَ یا لیتَ قَومی یَعلَمونَ بِما غَفَر لی رَبِّی وجَعَلنی مِن المُکرَمِینَ وما أنزَلْنا علی قَومِهِ مِنْ بَعدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّماء وما کُنّا مُنْزِلِینَ إنْ کانت إلّاصَیحةً واحدةً فإذا هُمْ خَامِدُونَ» (یس/ ۲۰-/ ۲۹).

اتّفق المفسرون علی أنّ الآیات نزلت فی رُسل عیسی، وقد نزلوا بأنطاکیا داعین أهلها إلی التوحید وترک عبادة غیره سبحانه، فعارضهم من کان فیها بوجوه مذکورة فی القرآن.

فبیما کان القوم والرسل یتحاجّون إذ جاء رجل من أقصی المدینة یدعوهم إلی اللَّه سبحانه وقال لهم:

اتّبعوا معاشر الکفار من لا یطلبون منکم الأجر ولا یسألونکم أموالکم علی ما جاءوکم به من الهدی، وهم مهتدون إلی طریق الحق، سالکون سبیله، ثم أضاف قائلًا:

وما لی لا أعبدُ الَّذی فَطرنی وأنشأنی وأنعم إلَّی وهدانی وإلیه تُرجعون عند البعث، فیجزیکم بکفرکم، أتأمروننی أن أتَّخذ آلهةً من دون اللَّه مع أنّهم لا یُغنون شیئاً ولا یردّون ضرراً عنّی، ولا تنفعنی شفاعتهم شیئاً ولا ینقذوننی من الهلاک والضرر، وعندما مهّد الجو بإبطال حجّة المشرکین وبیان أحقیّة منطقه، فعندئذ خاطب الناس أو الرسل بقوله «إنّی آمنتُ بربِّکمْ فَاسمعونِ» فسواء أکان الخطاب للمشرکین أو للرسل فإذا بالکفار قد هاجموه فرجموه حتی قتل.

ولکنّه سبحانه جزاه بالأمر بدخول الجنة بقوله: «قیلَ ادخُلِ

ص:۳۶

الجَنَّهَ» فلمّا دخل الجنهٔ خاطب قومه الذین قتلوه بقوله «یا لیتَ قومی یعلمون بما غفر لی ربِّی وجعلنی من المُکرمین».

ثم إنّه سبحانه لم یمهل القاتلین طویلًا حتی أرسل جنداً من السماء لإهلاکهم، یقول سبحانه: «وما أَنْزَلْنا علی قَومهِ منْ بَعدهِ مِنْ جندٍ من السَّماء وما کُنّا مُنزلینَ إنْ کانَتْ إلّاصیحهً واحدهً فإذا هُمْ خامِدونَ»

أی: کان إهلاکهم عن آخرهم بأیسر أمر وهیصیحهٔ واحدهٔ حتی هلکوا بأجمعهم فإذا هم خامدون ساکتون.

ودلالـهٔ الآیـهٔ علی بقاء النفس وإدراکها وشـعورها وإرسالها الخطابات إلی من فی الحیاهٔ الـدنیا واضـحهٔ جـداً، حیث کانَ دخول الجنهٔ «قیل ادخُلِ الجَنَّهَ» والتمنّی «یا لیت قومی» کان قبل قیام الساعهٔ، والمراد من الجنهٔ هی الجنهٔ البرزخیهٔ دون الأُخرویهٔ.

إلی هنا تم بیان بعض الآیات الدالـهٔ علی بقاء أرواح الشـهداء الذین بذلوا مهجهم فی سبیل اللّه، وهناک مجموعهٔ من الآیات تدلّ علی بقاء أرواح الکفار بعد انتقالهم عن هذه الدنیا، لکن مقترناً بألوان العذاب والطائفهٔ الأولی منعّمهٔ بألوان النعم، وإلیک الطائفهٔ الثانیهٔ:

الآیهٔ الخامسهٔ:

قال سـبحانه: «فَوقاهُ اللّهُ سَـیِّئاتِ ما مَکَرُوا وحاقَ بآلِ فِرعَوْنَ سوءُ العَذاب النّارُ یُعْرَضُونَ عَلیها غُدُوّاً وعَشـیّاً ویوم تقومُ السّاعهُ أدْخِلُوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذابِ» (غافر/ ۴۵- ۴۶).

والآیهٔصریحهٔ فی أنّه سبحانهصرف عن مؤمن آل فرعون سوء مکرهم فَنَجا مع موسی، لکن أحاط بآل فرعون سوء العذاب، وأما کیفیهٔ

ص:۳۷

عذابهم فتدلّ الآیة علی:

أولًا: أنّ هناک عرضاً لهم علی النار وإدخالًا لهم فیها، والثانی أشدّ من الأول.

ثانیاً: أنّ العرض علی النار قبل قیام الساعة، کما أنّ الإدخال حین قیامها.

وثالثاً: أنّ التعذیب بعد الموت وقبل قیام الساعة (البرزخ) والتعذیب عند قیام الساعة، بشیء واحد وهو نار الآخرة، لکن العذاب قبل قیامها بالعرض علی النار وبعد قیامها بالدخول فیها، وینتج أنّ البرزخیین یعذّبون من بعید «(۱)» وأهل الآخرة بالدخول.

ورابعاً: أنّ آل فرعون وإن ماتوا بالغرق فی البحر، لکن موتهم لم یکن بمعنی بطلانهم وفنائهم رأساً، بل بمعنی خروج أرواحهم من أبدانهم وانتقالهم إلی عالم آخر حائل بین العالمین، فقُضیَ علیهم بسوء العذاب إلی یوم القیامة بالعرض علی النار، والدخول فیها بعد قیامها، ولو لم یکن إحیاء، فلا معنی لتعذیب الجماد الفاقد للشعور بالعرض علی النار.

وخامساً: أنّ شخصیة آل فرعون بأرواحهم لا بأبدانهم، بشهادة بطلان أجسادهم وتشتّت أجزائها، لکنّهم معادون بعد الموت بالعرض علی النار، وبالدخول فیها بعد قیام الساعة.

۱- یستفاد من الآیة ۲۵ من سورة نوح علی القول بأنها راجعة إلی البرزخ أنّ الدخول لا یختص بیوم القیامة، بل یعمّه والحقبة البرزخیة، ولعلّ هناک فرقاً بین النارین أعاذنا اللّه منهما.

ص:۳۸

الآیة السادسة:

«حتّی إذا جاءَ أحدَهُمُ المَوتُ قالَ ربِّ ارجِعُونِ لَعَلِّی أعملُصالحاً فِیما تَرکتُ کلّا إنّها کَلمةٌ هوَ قائِلُها ومِنْ ورائِهِمْ بَرزخ إلی یومِ یُبعَثُونَ» (المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰).

وقبل أن ننّوه بدلالة الآیة علی بقاء الحیاة بعد الموت نفسر لفظین من الآیة.

أحدهما: «البرزخ»، وهو الحاجز بین الشیئین، قال سبحانه: «مَرجَ البَحرینِ یَلتقیانِ بَینهُما برزخٌ لا یَبغِیانِ» (الرحمن/ ۱۹- ۲۰) ذکر سبحانه عظیم قدرته، حیث خلق البحرین، العذب والمالح یلتقیان ثم لا یختلط أحدهما بالآخر لوجود حاجز بینهما.

والثانی: لفظة «وراء» وهو فی الآیة بمعنی أمام، ومعنی قوله «ومن ورائهم» أی: من أمامهم وقدّامهم.

قال سبحانه: «وکانَ وَراءَهم مَلِکٌ یأخُذُ کلَّ سفینةٍ غَصْبا» (الکهف/ ۷۹).

والاستدلال بهذه الآیة من وجهین:

۱- إنّ الإنسان المذنب یری حین الموت ما أُعدّ له فی مستقبل أمره من عذاب ألیم، ولأجل ذلک یطلب من ملائکة اللّه أن یرجعونه إلی عالم الدنیا، حتی یتدارک ما فاته ویتلافی ما فرّط، وإلی هذا یشیر قوله سبحانه: «حتّی إذا جاءَ أحَدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ ارجعون لَعلِّی أعملُصالحاً فیما تَرکتُ».

۲- إنّ قوله تعالی: «ومِنْ ورائِهِمْ برزخٌ إلی یومِ یُبعَثون» تصریح لا غموض فیه بوجود حیاة متوسطة بین الموت والبعث، وإنّما سمیت

ص:۳۹

برزخاً لكونها حائلًا بين الـدنيا والآخرة، ولا تتحقق الحيلولـة إلّابأن يكون للإنسان واقعيـة فى هـذا الحدّ الفاصل، إذ لو كان الإنسان بين هاتين الفترتين معدوماً لماصحّ أن يقال بين الحالتين برزخٌ، وهو حائل وفاصل بين الإنسان فى الدنيا والإنسان فى الآخرة.

الآية السابعة:

«ولَوْ تَرى إذ الظّالمونَ فى غَمَرات المَوتِ والمَلائكةُ باسِطوا أيدِيهِمْ أخْرِجُوا أنفُسَكُمُ اليومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنتمْ تَقولُونَ عَلى اللَّهِ غيرَ الحَقِّ وكُنتُمْ عنْ آياتهِ تَستَكْبِرونَ» (الأنعام/ ۹۳).

والاستدلال بالآية على بقاء الروح بعد فناء الجسد من طريقين:

أ- قوله «أخرجوا أنفسـكم»صريح فى أنّ الملائكة تنتزع الروح من البدن ويعنى هذا أنّ المتروك هو البدن، وأمّا الروح فتؤخذ وتخرج من الجسد إخراجا.

ب- إنّ ظاهر قوله: «اليوم تُجزون عـذابَ الهُون» هو الإشارة إلى يوم الموت، وساعته، ولو كان الموت فناءً كاملًا للإنسان لما كان لهذه العبارة معنى، إذ بعد فناء الإنسان فناءً كاملًا شاملًا لا يمكن أن يحسّ بشىء من العذاب.

ومن هنا يتبيّن أنّ الفانى إنّما هو الجسد، وأمّا الروح فتبقى وترى العذاب الهون وتذوقه وتحسّ به.

قال العلّامـة الطباطبائى فى تفسير هـذه الآيـة: إنّ كلامه تعالى ظاهر فى أنّ النفس ليست من جنس البـدن، ولا من سـنخ الأُمور المادية الجسمانية، وإنّما لها سنخ آخر من الوجود يتّحد مع البدن ويتعلّق به

ص:۴۰

نوعاً من الاتحاد والتعلّق غیر مادّی.

فالمراد بقوله: «أخرجوا أنفسکم» قطع علقة أنفسهم من أبدانهم وهو الموت «(۱)».

الآیة الثامنة:

«ولَوْ تَری إذْ یَتوفّی الَّذینَ کَفَروا الملائِکَةُ یَضْرِبونَ وُجُوهَهُمْ وأَدْبارَهُمْ وذُوقُوا عَذابَ الحریقِ ذلکَ بِما قَدَّمَتْ أیدیکُمْ وأَنَّ اللَّهَ لیسَ بِظلّامٍ لِلعَبید» (الانفال/ ۵۰- ۵۱).

تدلّ الآیة علی أنّ الکافرین یعذّبون حین الموت بوجهین:

الأول: بضرب الملائکة، وجوههم وأدبارهم، وقد أُشیر إلیه فی آیة أُخری أیضاً، قال سبحانه: «فَکیفَ إذا تَوفَّتهُمُ الملائکةُ یَضرِبونَ وُجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ» (محمد/ ۲۷).

الثانی: بعذاب الحریق، الذی یدل علیه قوله سبحانه: «ذُوقوا عَذابَ الحریقِ»، فالآیة تدلّ علی أنّ هناک عذابین منفصلین موضوعاً ومحمولًا، فالعذاب الأول موضوعه الجسد، والثانی موضوعه روح الإنسان المنتقل إلی الحیاة غیر الدنیویة.

الآیة التاسعة:

قال سبحانه: «مِمّا خطیئتهم أُغرِقُوا فأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ یَجدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أنصارا» (نوح/ ۲۵) والآیة نازلة فی شأن قوم نوح الذین غرقوا لخطیئاتهم أوّلًا، «فأُدخلوا ناراً» ثانیاً.

۱- الطباطبائی: المیزان ج ۷/ ۲۸۵.

ص:۴۱

ومن المفسرین من فسر الجملهٔ الثانیهٔ بنار الآخرهٔ ویقول: جیء بصیغهٔ الماضی لکون تحقّقه قطعیاً «(۱)». ولکنّه بعید، لأنّ ظاهر الآیهٔ کون الدخول فی النار متّصلًا بغرقهم لا منفصلًا، بشهادهٔ تخلّل لفظهٔ «فاء» وإلّا کان اللازم التعبیر ب «ثم».

الآیهٔ العاشرهٔ:

قوله سبحانه: «قالُوا رَبّنا أَمَتَّنا اثنَتین وأحْیَیتنا اثنتَینِ فَاعترَفنا بِذُنوبِنا فَهلْ إلی خروجٍ مِنْ سَبیل» (غافر/ ۱۱) الآیهٔ تدلّ بوضوح علی أنّه مرّت علی الإنسان المحشور یوم القیامه، إماتتان وإحیاءان.

فالإماتهٔ الأُولی: هی الإماتهٔ الناقلهٔ للإنسان من الدنیا.

والإحیاء الأول: هو الإحیاء بعد الانتقال منها.

والإماتهٔ الثانیهٔ: قُبیل القیامهٔ عند نفخ الصور الأول.

والإحیاء الثانی: عند نفخ الصور الثانی.

قال سبحانه: «ونُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فی السَّموات وَمنْ فی الأرضِ إلّامَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فیهِ أُخری فإذا هُمْ قِیامٌ یَنظُرُون» (الزمر/ ۶۸).

وعلی ما ذکرنا فکل من الإحیاءَین لاصلهٔ له بالدنیا، بل یتحققان بعد الانتقال من الدنیا، أحدهما فی البرزخ بعد الإماتهٔ فی الدنیا، والآخر یوم البعث بعد الإماتهٔ بنفخ الصور الأول.

وعندئذٍ تتضح دلالهٔ الآیهٔ علی الحیاهٔ البرزخیهٔ بوضوح.

نعم لم یتعرض القائلون بالحیاهٔ الدنیویهٔ ولم یقولوا «وأحییتَنا

۱- الطبرسی: مجمع البیان ۵/ ۳۶۴.

ص:۴۲

ثلاثاً» وإن کانت إحیاء لکونها واقعهٔ بعـد الموت الذی هو حال عدم ولوج الروح، ولعلّ الوجه هو أنّ الغرض تعلّق بذکر الإحیاء الذی یعـدّ سـبباً للإیقان بالمعاد ومورِّثاً للإیمان وهو الاحیاء فی البرزخ ثم یوم القیامـهٔ، وأمّا الحیاهٔ الدنیویهٔ، فإنّها وإن کانت إحیاء بلا شـکّ لکنّها لا توجب بنفسها یقیناً بالمعاد، فقد کانوا مرتابین فی المعاد وهم أحیاء فی الدنیا «(۱)».

تفسیر خاطئ للآیهٔ:

إنّ بعض المفسّرین فسّروا الآیهٔ بالنحو التالی:

الإماتهٔ الأُولی: حال النطفهٔ قبل ولوج الروح.

الإحیاء الأول: حال الإنسان بعد ولوجها فیها.

الإماتهٔ الثانیهٔ: إماتته فی الدنیا.

والإحیاء الثانی: إحیاؤه یوم القیامهٔ للحساب.

وعندئـذ تنطبق الآیهٔ علی قوله سـبحانه «کَیفَ تَکفُرونَ باللَّهِ وکُنتُمْ أمواتاً فَأحیاکُمْ ثُمّ یُمیتُکُم ثمَّ یُحْیِیکُمْ ثمَّ إلیه تُرجَعون» (البقرهٔ/ ۲۸) «(۲)».

ولکنّه تفسیر خاطئ وقیاس باطل.

أمّا کونه خاطئاً، فلأنّ الحالـهٔ الأُولی للإنسـان أی حـالته قبل ولوج الروح فی جسـده لا تصـدق علیها الإماتـهٔ، لأنّه فرع سـبق الحیاهٔ، والمفروض عدمه.

وأمّا کونه قیاساً باطلًا، فلأنّ الآیتین مختلفتان موضوعاً، إذ

۱- الطباطبائی: المیزان ۱۷/ ۳۱۳.

۲- الکشاف ۳: ۳۶۳ ط دار المعرفهٔ- بیروت

ص:۴۳

المأخوذ والوارد فی‌الآیة الثانیة هو لفظة «الموت» ویصحّ تفسیره بحال النطفة قبل ولوج الروح، بخلاف الوارد فی الآیة الأُولی، إذ الوارد فیها «الإماتة» فلا یصح تفسیره بتلک الحالة التی لم یسبقها الإحیاء.

ولأجل ذلک یصحّ تفسیر الآیة الثانیة بالنحو التالی:

۱- کنتم أمواتاً: الحالة الموجودة فی النطفة قبل ولوج الروح.

۲- فأحیاکم: بولوج الروح فیها ثم الانتقال من البطن إلی فسیح الدنیا.

۳- ثمّ یُمیتُکم: بالانتقال من الدنیا إلیصوب الآخرة.

۴- ثم یُحییکُم: یوم البعث للحساب والجزاء.

وبما أنّ موقف الآیتین مختلفان هدفاً وغایة، اختلف السیاقان، فصارت احداهما تلمح بالحیاة المتوسطة بین الدنیا والآخرة (البرزخ) دون الأُخری، ولا ملزم لتطبیق إحداهما علی الأُخری بعد اختلافهما فی الموضوع والغایة.

تلک عشرة کاملة تورث الیقین، باستمرار الحیاة بعد الانتقال من الدنیا، ولا ینکر دلالتها إلّاالجاحد، ولیس ما یدل من الآیات علی بقائها بعد الموت منحصراً فی هذه الآیات العشر، بل هناک مجموعة من الآیات تصلح للاستدلال علی المقصود، مثل: «وکَذلکَ جَعلناکُمْ أُمّةً وَسطاً لتکُونُوا شُهَداء علی النّاسِ، ویکونَ الرسولُ علیکُمْ شَهیداً» (البقرة/ ۱۴۲)، وقوله سبحانه: «فَکیفَ إذا جِئْنا مِنْ کلِّ أُمةٍ بِشَهیدٍ وجِئنا بکَ علی هؤلاء شَهیداً» (النساء/ ۴۱) «(۱)»

لکنّا نقتصر علیها روماً للإختصار.

۱- فلو قلنا: بأن موت النبیّ صلی الله علیه و آله عبارة عن فنائِه المطلق، فما معنی کونه شهیداً علی أُمته فی تمام الأجیال؟.

ص:۴۴

وأمّا الاستدلال بالسنّة الشریفة علی أنّ الموت لیس بمعنی فناء الإنسان برأسه، وإنّما هو الانتقال من دار إلی دار، فسیوافیک قسم من الروایات فی الفصل التالی المتکفّل لبیان وجود الصلة بین أهل الدنیا والنازلین فی البرزخ، بحیث یسمعون کلامهم ویجیبون دعاءهم وإن کنّا نحن غیر سامعین ولا فاهمین.

ولا عجب فی أن یکون هناک رنین أوصراخ وکنّا بمعزل عن السمع والفهم، قال سبحانه: «وإنْ مِنْ شَیء إلّایُسبِّحُ بِحمِدِهِ ولکنْ لا تَفقَهونَ تَسبیحَهُمْ إنْهُ کانَ حَلیماً غَفورا» (الإسراء/ ۴۴).

ص:۴۵

الفصل الثالث وجود الصلة بين الحياة الدنيوية والحياة البرزخيّة

اشارة

لاـ أظنّ أنّ مسلماً ملمّاً بالقرآن والسنّة ينكر وأنّ للإنسان بعد موته وقبل بعثه حياة متوسطة بين الدنيا والآخرة، وهو فيها بين مرتاح ومنعَّم، ومتعب معذّب.

ولكن الجدير بالدراسة، في ضوء الكتاب والسنّة، هو تبيين الصلة بين الحياتين، وانّ البرزخيين غير منقطعين عمّا يجرى فى الحياة الدنيوية، وإنهم يسمعون إذا دُعُوا، ويجيبون إذا سُئلوا، بإذنٍ منه سبحانه، والبرزخ وإن كان بمعنى المانع والحائل، لكنّه حائل عن الرجوع إلى الدنيا الذى نفاه سبحانه بصريح كلامه عندما طلب لفيف من الظالمين الرجوعَ إلى الدنيا لتدارك ما فات منهم من العبادة والطاعة قائلين: «ربِّ ارجِعونِ لَعَلّى أعملُصالحاً فيما تركتُ»، فأُجيبوا بالحرمان بقوله: «كلّاً» (المؤمنون/ ۹۹-/ ۱۰۰) وليس بمانع عن السماع والاستماع ولا عن السؤال والجواب، كل ذلك بإذن منه سبحانه.

وتدل على وجود الصلة بين الحياتين بهذا المعنى، مجموعة من

ص:۴۶

الآیات وقسم وافر من الروایات نأتی فی المقام بصریحهما، حتی یُزال الشک عن المرتاب.

۱- النبی ّصالح یکلّم قومه بعد هلاکهم:

أخبر اللَّه تعالی فی القرآن الکریم عن النبیّصالح علیه السلام أنّه دعا قومه إلی عبادهٔ اللَّه، وترک التعرّض بمعجزته (الناقهٔ) وعدم مسّها بسوءٍ، ولکنّهم عقروا الناقهٔ وعتوا عن أمر ربّهم:

«فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجفهُ فأصبَحوا فی دارِهِمْ جاثِمینَ فَتولَّی عَنهمْ وقالَ یا قومِ لَقدْ أبلغتُکُمْ رِسالهَ رَبِّی ونَصحتُ لَکُمْ ولکنْ لا تُحبُّونَ الناصحینَ» (الأعراف/ ۷۸- ۷۹).

تری انّ اللَّه تعالی یخبر علی وجه القطع والبتّ بأنّ الرجفهٔ أهلکت أُمهٔصالح علیه السلام فأصبحوا فی دارهم جاثمین، وبعد ذلک یخبر أنّ النبیّصالحاً تولّی عنهم ثم خاطبهم قائلا: «لَقد ابلغتُکُمْ رسالهَ ربِّی ونَصحتُ لَکمْ ولکنْ لا تُحبُّونَ النّاصِحِین».

والخطابصدر منصالح لقومه بعد هلاکهم وموتهم بشهادهٔ جملهٔ «فتولّی» المصدرهٔ بالفاء المشعرهٔ بصدور الخطاب عقیب هلاک القوم.

ثم إنّ ظاهر قوله: «ولکنْ لا تُحبُّونَ النّاصحینَ»، یفید أنّهم بلغت بهم العنجهیهٔ أن کانوا لا یحبُّونَ النّاصحینَ حتی بعد هلاکِهِمْ.

۲- النبی شعیب یخاطب قومه الهالکین:

لم تکن قصهٔ النبیّصالح هی القصهٔ الوحیدهٔ من نوعها فی القرآن

ص:۴۷

الكریم، فقد تبعه فی ذلك شعیب إذ خاطب قومه بعد أن عمّهم الهلاك قال سبحانه:

«فأخَذَتْهُمُ الرَّجفةُ فأصبحوا فی دارهِهِمْ جاثِمینَ الَّذینَ كذَّبوا شُعیباً كأنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها الَّذینَ كذَّبوا شُعَیباً كانُوا همُ الخاسرینَ فَتولَّى عَنهُمْ وقالَ یا قَومِ لقدْ أبلغتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی ونَصحتُ لَكُمْ فَكیفَ آسی عَلى قومٍ كافرین» (الأعراف/ ۹۱- ۹۳).

وهكذا یخاطب شعیب قومه بعد هلاكهم ویكونصدور هذا الخطاب بعد هلاكهم بالرجفة.

فلو كان الاتصال غیر ممكن، وغیر حاصل، ولم یكن الهالكین بسبب الرجفة سامعین لخطابصالح وشعیب فما معنى خطابهما لهم؟

أیصح أن یفسّر ذلك الخطاب بأنّه خطاب تحسّر وإظهار تأسّف؟

كلّا، إنّ هذا النوع من التفسیر على خلاف الظاهر، وهو غیرصحیح حسب الأُصول التفسیریة، وإلّا لتلاعب الظالمون بظواهر الآیات وأصبح القرآن الكریم لعبة بید المغرضین، یفسرونه حسب أهوائهم وأمزجتهم.

على أنّ مخاطبة الأرواح المقدسة لیست أمراً ممتنعاً فی العقل حتى تكون قرینة علیه.

۳- النبی یأمر بالتكلّم مع الأنبیاء:

جاء فی الذكر الحكیم قوله تعالى لنبیّه:

«واسألْ مَنْ أرسَلْنا مِنْ قَبلِكَ مِن رُسُلِنا أجَعلْنا مِنْ دُونْ الرَّحمنِ آلهةً یُعبَدون» (الزخرف/ ۴۵).

ص:۴۸

تری أنّ اللَّه سبحانه یأمر النبیّ الأکرم بسؤال الأنبیاء الذین بُعِثُوا قبله، ومن التأویل الباطل إرجاعها إلی سؤال علماء أهل الکتاب استظهاراً من قوله سبحانه: «فإنْ کنتَ فی شکٍّ مِمّا أنزْلنا إلیکَ فاسألِ الَّذِینَ یقرأُونَ الکِتابَ مِنْ قَبلِکَ لقدْ جاءکَ الحقُّ مِنْ ربِّکَ فلا تَکونَنَّ مِنَ المُمتَرینَ ولا تکونَنَّ مِنَ الَّذینَ کذَّبوا بآیاتِ اللَّه فتکونَ مِنَ الخاسِرینَ» (یونس/ ۹۴- ۹۵).

وقوله سبحانه: «فاسألْ بَنی إسرائیلَ إذْ جاءهُمْ فقالَ لَهُ فِرعونُ إنی لأَظُنُّکَ یا موسی مَسحُورا» (الإسراء/ ۱۰۱).

ووجه البطلان هو: أنّ الخطاب فی الآیة الأُولی وان کان متوجّهاً إلی النبیّ لکن المقصود هو الأُمة بقرینة قوله: «ولا تکُونَنَّ منَ المُمتَرین» و «ولا تکونَنَّ من الَّذین کذَّبوا».

ومثلها الآیة الثانیة، فالخطاب وإن کان للنبی وأمره سبحانه بأنّ یسأل بنی إسرائیل عن الآیات النازلة إلی موسی، ولکنّه من قبیل «إیاک أعنی واسمعی یا جارة» والنبیّ أجلّ وأعظم من أن یشکل علیه شیء ویسأل علماء بنی إسرائیل عمّا أشکل علیه.

هاتان الآیتان راجعتان إلی سؤال الأُمة علماءَ بنی إسرائیل وقرّاء کتبهم، وهذا بخلاف قوله: «اسأل مَنْ أرسَلْنامن قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا» فإنّه خطاب للنبیّ حقیقة.

وأمّا ما هو الوجه فی سؤال الأنبیاء فی مجال التوحید أی قوله:

«أجَعَلنا منْ دون الرّحمن آلهةً یعبدون»، فقد ذکره المفسرون، وأنّهصلی الله علیه و آله تکلم مع الأنبیاء السالفین لیلة المعراج.

ص:۴۹

۴- السلام على الأنبياء:

إنّ القرآن الكريم يسلّم على الأنبياء فى مواضع متعدّدة ويقول:

۱- «سَلامٌ عَلى نُوحٍ فى العالَمينَ».

۲- «سَلامٌ على إبراهيمَ».

۳- «سَلامٌ على مُوسى وهارونَ». ۴- «سَلامٌ عَلى إلْ ياسينَ». ۵- «وسَلامٌ عَلى المُرسَلين» (الصافّات/ ۷۹، ۱۰۹، ۱۲۰، ۱۳۰ و ۱۸۱).

ولا شك أنّ ما ورد فيها ليس سلاماً سطحيّاً أجوف، بل هو سلام حقيقىّ وتحيّة جديدة يوجّهها القرآن إلى أنبياء اللّه ورسله.

وهل يصحّ التسليم الجدّى على الجماد الذى لا يَعرف ولا يُدرك ولا يشعر؟! وليس لنا تفسيرالمفاهيم القرآنية النابعة عن الحقيقة تفسيراً قشرياً، بأن نقول:

إنّ كافة التحيات فى القرآن والتى نتلوها فى آناء الليل وأطراف النهار ليست إلّامجاملات جوفاء وفى مستوى تحيات المادّيين لرفقائهم وزملائهم الذين أدركهم الموت.

إنّ المادّى لمّا يسوِّ الوجودَ بالمادة ولا يرى لورائها حقيقة، فعندما يسلّم فى محاضراته وشعاراته على زملائه الميّتين يعود ويفسره بالتكريم الأجوف.

وأمّا نحن المسلمين، فبما أنّ الوجود عندنا أعمّ من المادة وآثارها، فليس علينا تفسير الآيات تفسيراً مادّياً خارجاً عن الإطار المحدّد فى الكتاب والسنّة لتفسير الذكر الحكيم، وهذا ما يبعثنا على تفسير تلك التسليمات بنحو حقيقى، وهو يلازم حياة المسلَّم إليهم

ص:۵۰

ووجود الصلة بيننا وبينهم، سلام اللَّه عليهم أجمعين.

هذا هو ما يرشدنا إليه الوحى فى مجال إمكان ارتباط الأحياء بالأرواح.

السنّة الشريفة والصلة بين الحياتين:

اشارة

ما تلوناه عليك كان مجموعة من الآيات الناصعة الدالّة على وجود الصلة بين الحياتين، وأنّ قسماً من الأنبياء تكلّموا مع البرزخيين.

وأمّا السنّة الشريفة، فهناك روايات وافرة دالّة على ما نتوخّاه نأتى بقسم منها:

۱- النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله يكلّم أهل القليب:

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم فى جانب المسلمين وهزيمة نكراء فى جانب المشركين.

فقد غادر المشركون ساحة القتال هاربينصوبَ مكة مخلِّفين وراءهم سبعين قتيلًا منصناديدهم وساداتهم، ووقف النبىّ يخاطب القتلى واحداً واحداً ويقول:

«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أُمية بن خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدّد من كان منهم فى القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربّى حقّا».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول اللَّه أتنادى قوماً موتى؟

فقالصلى الله عليه و آله:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن

ص:۵۱

يجيبونى».

وكتب ابن هشام يقول: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أضاف بعد هذه المقالة وقال:

«يا أهل القليب، بئس عشيرة النبىّ كنتم لنبيكم، كذّبتمونى وصدّقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس».

ثمّ قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربّى حقّا» «(۱)».

روى البخارى عن نافع أنّ ابن عمر- رضى اللّه عنهما- أخبره قال:

اطّلع النبيصلى الله عليه و آله على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقاً»، فقيل له: تدعوا امواتاً، فقال: «ما أنتم باسمعَ منهم، ولكن لا يجيبون».

ثم روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة- رضى اللّه عنها- قالت: إنما قال النبيّصلى الله عليه و آله: «إنّهم ليعلمون الآن أنّ ماكنت أقول حقّ»، وقد قال اللّه تعالى: «إنّك لا تُسمِعُ المَوتى» «(۲)».

ولا يذهب عليك أنّ السيدة عائشة سلّمت الحياة البرزخية لهم، ولذلك قالت: إنّ النبىّ قال: «إنهم ليعلمون الآن أنّ ما كنت أقول حق» ولكنها نفت ان يقول النبىّ «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون» من دون أن تسنده إلى قائل حاضر فى الواقعة، وإنّما استنبطت قولها من الآية الكريمة، ومن المعلوم أنّ ابن عمر يدّعى السماع عن النبىّ، أو عمّن سمعه منهصلى الله عليه و آله ولا يعارضه، استنباطها، وإنما يكون نظرها حجة على نفسها لا على من عاين وشهد تكلم النبى معهم.

۱- السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۴۹، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ وغيرهما.

۲- البخارى: الصحيح الجزء ۹ كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ص ۹۸.

ص:۵۲

أضف إلى ذلك أنّه لاصلة للآية بما تدّعيه، كما سيوافيك.

ولأجل التأكيد عليصحة القصة نأتى أيضاً بنصّصحيح البخارى فى باب معركة بدر (غير كتاب الجنائز) ونردفه بذكر مصادر أُخرى، وما ظنّك بأمر يرويه الإمام البخارى ولفيف من المحدثين قال:

وقف النبيصلى الله عليه و آله على قليب «بدر» وخاطب المشركين الذين قُتلوا وأُلقيت جثثهم فى القليب: «لقد كنتم جيران سوء لرسول اللّه، أخرجتموه من منزله، وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا»، فقال له رجل: يا رسول اللّه ما خطابك لهم؟

فقالصلى الله عليه و آله: «واللّه ما أنتم بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلّاأن أعرض بوجهى عنهم».

وقد أنشد حسان قصيدة بائية رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير فى بعض أبياتها إلى هذه الحقيقة أعنى قصة القليب إذ يقول:

يناديهم رسول اللّه لمّا قذفناهم كباكب فى القليبِ

ألم تجدوا كلامى كان حقّا وأمر اللّه يأخذ بالقلوبِ

فما نطقوا ولو نطقوا لقالواصدقت وكنت ذا رأى مصيبِ

على أنّه لاتوجد عبارة أشدّصراحة ممّا قاله رسول اللّهصلى الله عليه و آله فى المقام حيث قال: «ما أنتم بأسمع منهم»، وهل ثمة بيان أكثر إيضاحاً وأشد تقريراً لهذه الحقيقة من مخاطبة النبيصلى الله عليه و آله لواحد واحد من أهل القليب، ومناداتهم بأسمائهم، وتكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياة؟!

فلا يحق لأىّ مسلم مؤمن بالرسالة والرسول أن يسارع إلى إنكار هذه القضية التاريخية الإسلامية المسلّمة ويبادر قبل التحقيق ويقول: إنّ هذه القضية غيرصحيحة لأنّها لا تنطبق على عقلية المادّى المحدودة.

ص:۵۳

وقد نقلنا هنا نصّ هذا الحوار، لکی یری المسلمون الناطقون باللغة العربیة کیف أنّ حدیث النبیّصلی الله علیه و آله یصرّح بهذه الحقیقة بحیث لا توجد فوقه عبارة فی الصراحة والدلالة علی هذه الحقیقة.

ومن أراد الوقوف علی مصادر هذه القصة فعلیه أن یراجع ما ذکرناه فی الهامش أدناه «(۱)».

۲- الإمام علیّ علیه السلام یکلّم رؤساء الناکثین:

إنّ الإمام علیاً علیه السلام بعد أن وضعت الحرب فی معرکة الجمل أوزارها مرّ علی کعب بن سور وکان قاضی البصرة فقال لمن حوله:

«أجلسوا کعب بن سور» فاجلسوه بین شخصین یمسکانه- وهوصریع- فقال علیه السلام: «یا کعب بن سور قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّا فهل وجدت ما وعدک ربُک حقّا»؟ ثم قال: «أضجعوه».

ثم سار قلیلًا حتی مرّ بطلحة بن عبید اللّهصریعاً فقال: «أجلسوا طلحة» فأجلسوه، فقال علیه السلام: «یا طلحة قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّاً فهل وجدت ما وعدک ربّک حقّا»؟ ثم قال: «أضجعوا طلحة».

فقال له رجل: یا أمیر المؤمنین ما کلامک لقتیلین لا یسمعان منک؟ فقال علیه السلام: «یا رجل، واللّه لقد سمعا کلامی، کما سمع أهل القلیب کلام رسول اللّه» «(۲)».

۱- صحیح البخاری ج ۵ معرکة بدر ص ۷۶، ۷۷، ۸۶، ۸۷، صحیح مسلم ج ۸ کتاب الجنة باب معتمد المیت/ ۱۶۳، سنن النسائی ج ۴ باب أرواح المؤمنین ص ۸۹/ ۹۰، مسند الإمام أحمد ج ۲/ ۱۲۱، المغازی للواقدی غزوة بدر وغیرها.

۲- المفید، الجمل/ حق الیقین للسید عبد اللّه شبر ۲/ ۷۳.

ص:۵۴

۳- السلام علی النبیّصلی الله علیه و آله فی ختام الصلاهٔ:

إنّ جمیع المسلمین فی العالم- بالرغم من الخلافات المذهبیهٔ بینهم فیفروع الدین- یسلّمون علی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم فی الصلاهٔ عند ختامها فیقولون:

«السلام علیک أیّها النبیّ ورحمهٔ اللَّه وبرکاته»

وقد أفتی الشافعی وآخرون بوجوب هذا السلام بعد التشّهد، وأفتی الآخرون باستحبابه، لکن الجمیع متفقون علی أنّ النبیصلی الله علیه و آله علّمهم السلام وأن سنهٔ النبی ثابتهٔ فی حیاته وبعد وفاته «(۱)».

والسؤال الآن: اذا کانتصلتنا وعلاقتنا بالنبیصلی الله علیه و آله قد انقطعت بوفاته، فما معنی مخاطبته والسلام علیه یومیاً؟!

۴- المیت یسمع قرع النعال:

المیت یسمع کلام من یتکلم قرب قبورهم لا بجسمه، بل بروحه التی کانت لها ارتباط وإشعاع علی الجسم، ولا یعنی أنّها داخلهٔ فی قبره کما کانت فی حیاته ملازمهٔ لجسمه ومعلقهٔ به، بل المراد أنّ لها ارتباطاً وإشعاعاً علی الجسم الذی فارقه، ویدل علی ذلک:

ما رواه البخاری عن أنس بن مالک أنّه حدّثهم عن رسول اللَّه (ص) قال: «إنّ العبد إذا وضع فی قبره وتولّی عنه أصحابه حتی أنّه لیسمع قرعَ نعالهم، أتاه ملکان فیقعدانه فیقولان له: ما کنت تقول فی هذا الرجل محمّد (ص)؟ فیقول: أشهد أنّه عبد اللَّه ورسوله، فیقال له: انظر

۱- راجع کتاب تذکرهٔ الفقهاء، ج ۳: ۲۳۳ المسألهٔ، ۲۹۴، وکتاب الخلاف للشیخ الطوسی: ج ۱ ص ۴۷، لمعرفهٔ أقوال المذاهب والفقهاء فی هذا المجال.

ص:۵۵

إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّه بهٔ مَقعداً فى الجنهٔ فيراهما جميعا، وأمّا الكافر والمنافق فيقول: لا أدرى، كنت أقول كما يقول الناس، فيقال: لا دَريتَ ولا تَلَيتَ، ثم يُضرب بمطارقهٔ من حديد ضربهٔ بين اذنيه، فيصيحصيحهٔ يسمعها من يليه إلّاالثقلين» «(۱)».

وجه الاستدلال به أنه قال: «وانه ليسمع قرع نعالهم»، فالميت إذاً يسمع قرع النعال، فالكلام من باب أوْلى.

۵- قول الميت عند حمل الجنازهٔ:

روى البخارى فيصحيحه عن أبى سعيد الخدريّ (رض): أنّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله قال: «إذ وضعت الجنازهٔ واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانتصالحهٔ قالت قدّمونى، وإنّ كانت غيرصالحهٔ قالت: ياويلى أين تذهبون بها، يسمعصوتها كل شىء إلّاالإنسان ولو سمعه لصعق» «(۲)».

۶- النبىّ صلى الله عليه و آله يسلّم على الأموات:

روى مسلم عن عائشهٔ أنّها قالت: كان رسول اللّهصلى الله عليه و آله كلّما كان ليلتَها فى رسول اللّهصلى الله عليه و آله يخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنّا إن شاء اللّه

۱- البخارى: الصحيح ج ۲/ ۹۰ باب الميت يسمع خفق النعال، ولاحظ فى تفسيرالحديث فتح البارى لابن حجر العسقلانى ۳/ ۱۶۰، وشرح الكرمانى ۷/ ۱۱۷.

۲- البخارى: الصحيح، الجزء ۲/ ۸۶ رواه فى ما بين: حمل الرجال الجنازهٔ دون النساء ص ۸۵ وباب قول الميت وهو على الجنازهٔ« قدمونى»، لاحظ شرح الحديث فى فتح البارى ۳/ ۱۴۴ وشرح الكرمانى ۷/ ۱۰۴.

ص:۵۶

بکم لاحقون، اللّهمّ اغفر لأهل بقیع الغرقد» «(۱)».

فلو کان الأموات لا یسمعون کالجماد یکون السلام علیهم عبثاً، وأین منزلة نبیّ الحکمة من العبث وقد تضافر أنّ النبیّ کان یمارس زیارة البقیع.

وبذلک یعلم أنّ المقصود من الموت فی المقام هو وقف سریان الدم فی الأوردة، والشرایین فی جسم الإنسان، وهو الممد بجوارحه وحواسه بالحرکة والشعور والإحساس، والمحرّک الرئیس لها هو القلب والرئتان بواسطة التنفّس.

وأمّا ما یرجع إلی واقع الإنسان وشخصیته الحقیقیة وهو الجوهر، المدرک المفکر فهو باق عالم شاعر.

۷- تعذیب المیت فی القبر:

روی البخاری عن ابنة خالد بن سعید بن العاص أنّها سمعت النبیّ وهو یتعوّذ من عذاب القبر.

وروی عن أبی هریرة کان رسول اللَّه یدعو: «اللّهمّ إنّی أعوذ بک من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحیا والممات ومن فتنة الشیخ الدجال» «(۲)».

وفیصحیح مسلم وجمیع السنن عن أبی هریرة أنّ النبیّ قال: «إذا فرغ أحدکم من التشهّد الأخیر فلیتعوذ باللَّه من أربع: من عذاب جهنم،

۱- مسلم: الصحیح ۷/ ۴۱.

۲- البخاری: الصحیح الجزء ۲/ ۹۹، ولاحظ فی شرح الأحادیث فتح الباری لابن حجر ۳/ ۱۸۸.

ص:۵۷

ومن عذاب القبر، ومن فتنهٔ المحیا والممات ومن فتنهٔ الدجال».

وفیصحیح مسلم أیضاً وغیره عن ابن عباس أنّ النبیّ کان یعلّمهم هذا الدعاء کما یعلّمهم السورهٔ من القرآن: اللّهمّ إنّی أعوذ بک من عذاب جهنم، وأعوذ بک من عذاب القبر، وأعوذ بک من فتنهٔ المحیا والممات وأعوذ بک من فتنهٔ الدجال «(۱)».

کلام لإبن عبد البر فی المقام:

قال ابن عبد البر ثبت عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال: «ما من مسلم یمر علی قبر أخیه کان یعرفه فیالدنیا فیسلّم علیه إلّاردّ اللَّه علیه روحه حتّی یرد علیه السلام». فهذا نص فی أنّه یعرفه بعینه ویرد علیه السلام.

وفی الصحیحین عنه صلی الله علیه و آله من وجوه متعددهٔ أنّه أمر بقتلی بدر فالقوا فی قلیب، ثم جاء حتی وقف علیهم ونـاداهم بأسمائهم «یا فلان ابن فلان، ویا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدکم ربّکم حقّا، فإنّی وجدت ما وعدنی ربّی حقّا» فقال له عمر: یا رسول اللَّه ما تخاطب من أقوام قد جُیّفوا فقال: «والذی بعثنی بالحقّ ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولکنّهم لا یستطیعون جوابا».

وثبت عنهصلی الله علیه و آله أنّ المیت یَسمع قرعَ نعال المشّیعین له، إذا انصرفوا عنه.

وقد شرّع النبیصلی الله علیه و آله لأُمته إذا سلّموا علی أهل القبور أن یسلّموا علیهم سلام من یخاطبونه فیقول: «السلام علیکم دار قوم مؤمنین» وهذا

۱- ابن القیم: الروح/ ۵۲ وقد بسط الکلام فی إثبات الموضوع واحاط بأطرافه ومن أراد التوسع فلیرجع إلی کتابه.

ص:۵۸

خطاب لمن یسمع ویعقل- ولولا ذلک لکان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد.

والسلف مجمعون علی هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأنّ المیت یعرف زیارة الحیّ له ویستبشر به.

قال أبو بکر عبد اللَّه بن محمّد بن عبید بن أبی الدنیا فی کتاب القبور باب معرفة الموتی بزیارة الأحیاء:

(حدثنا) محمّد بن عون: حدثنا یحیی بن یمان، عن عبد اللَّه بن سمعان، عن زید بن أسلم، عن عائشة رضی اللَّه تعالی عنها قالت: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «ما من رجل یزور قبر أخیه ویجلس عنده إلّااستأنس به وردّ علیه حتی یقوم».

(حدثنا) محمّد بن قدامة الجوهری: حدثنا معن بن عیسی القزاز:

أخبرنا هشام بن سعد: حدثنا زید بن أسلم عن أبی هریرة رضی الله عنه قال: إذا مرّ الرجل بقبر أخیه یعرفه فسلّم علیه، ردّ عیه السلام وعرفه، وإذا مرّ بقبر لا یعرفه فسلّم ردّ علیه السلام. إلی غیر ذلک من الروایات المتضافرة فی الصحاح والمسانید.

ص:۵۹

الفصل الرابع الحياة البرزخية فى كلمات العلماء

كلّ من يعبأ بعلمه وتعبّده أمام النصوص من علماء الإسلامصرّحوا باستمرار الحياة بعد الإنتقال من الدنيا، نذكر من كلماتهم ما يلى:

۱- قال الإمام أحمد بن حنبل (م/ ۲۴۱): والأعور الدّجال خارج لا شكّ فى ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكذابين، وعذاب القبر حّق، ويُسأل العبد عن دينه وعن رّبه ويَرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حقّ، وهما فتّانا القبور، نسأل اللّه تعالى الثبات «(۱)».

۲- وقال أبو جعفر الطحاوى (م/ ۳۲۱): (نؤمن) بعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير فى قبره عن رّبه ودينه ونبيّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول اللّه وعن الصحابة رضوان اللّه عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران «(۲)».

۳- وقال الإمام الأشعرى (۲۶۰-/ ۳۲۴): ونؤمن بعذاب القبر،

۱- الإمام أحمد: السنة/ ۵۰.

۲- أبو جعفر الطحاوى: شرح الرسالة الطحاوية لابن أبى العز قسم المتن/ ۳۹۶.

ص:۶۰

وبـالحوض، وأنّ الميزان حـقّ والصـراط حّق، والبعث بعـد الموت حقّ، وإنّ اللَّه عزّ وجـلّ يُوقِفُ العبـادَ فى الموقف يحـاسب المؤمنين »[(۱)](#content_note_60_1)«.

۴- قال البغدادى: أنكرت الجهميّة والضـرارية سؤال القبر، وزعم بعض القدرية أنّ سؤال الملكين فى القبر إنّما يكون بين النفختين فى الصور وحينئذ يكون عذاب قوم فى القبر.

وقالت السالمية بالبصرة: إنّ الكفّار لا يُحاسَبون فى الآخرة.

وزعم قوم يقال لهم الوزنية: أنْ لا حساب ولا ميزان.

وأقرّت الكرّاميـة بكـل ذلـك كمـا أقرّ به أصـحابنا، غير أنّهم زعموا أنّ منكراً ونكيراً همـا الملكان اللّـذان وكّلا بِكلّ إنسان فى حياته، وعلى هذا القول يكون منكر ونكير كل إنسانٌ غير منكر ونكيرصاحبه.

وقال أصحابنا: إنّهما ملكان غير الحافظين على كل إنسان »[(۲)](#content_note_60_2)«.

۵- قال البزدوى (وهو من الماتريدية): سؤال منكر ونكير فى القبر حقّ عند «أهل السنّة والجماعة»، وهما ملكان يسألان من ماتَ بعد ما حُيِّى، مَنْ ربّك وما دينُك ومن نبيّك، فيقدر المؤمن على الجواب ولا يقدر الكافر.

وفيه أحاديث كثيرة عن النبيصلى الله عليه و آله فى هذا الباب أنّ الملكين يجيئان فى القبر إلى الميت ويحيى اللَّه تعالى الميت فيسألان عمّا ذكرنا »[(۳)](#content_note_60_3)«.

۶- وقال الرازى: إنّ قوله: «وَيَستبشِرونَ بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ»

۱- الإمام الأشعرى: الإبانة، الأصل ۲۶.

۲- البغدادى: أُصول الدين: ۲۴۵.

۳- الإمام أبو اليسر محمّد البزدوى ۴۲۱-/ ۴۹۳ أُصول الدين: ۱۶۵-/ المسألة ۴۹.

ص:۶۱

دليل على حصول الحياة فى البرزخ قبل البعث، مضافا إلى قوله صلى الله عليه و آله:
«القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حُفَرِ النيران» والأخبار فى ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، وكان عليه السلام يقول فى آخرصلاته: «وأعوذ بك من عذاب القبر» إلى أن قال: الإنسان هو الروح، فإنّه لا يعرض له التفرّق والتمزّق، فلا جرم يصل إليه الألم واللذة (بعد الموت).

ثم إنّه سبحانه وتعالى يردّ الروح إلى البدن يومَ القيامة الكبرى حتى تنضم الأحوال الجسمانية إلى الأحوال الروحانية «(۱)».

۷- وقال إبن ابى العزّ الدمشقى: إنّ الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وقد جعل اللَّه لكلّ دارٍ أحكاماً تخّصها، وركّب هذا الإنسانَ من بدن ونفس، وجعلَ أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم،صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.

فإذا تأملت هذا المعنى حقّ التأمل، ظهر لك أنّ كون «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار» مطابق للعقل، وأنّه حقّ لا مِرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

ويجب أن يعلم أنّ النار التى فى القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان اللَّه تعالى يَحمى عليه الترابَ والحجارةَ التى فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسّوا بها.

۱- الرازى: التفسير الكبير ۴/ ۱۴۶ و ۱۴۹.

ص:۶۲

بل أعجب من هـذا، أنّ الرجلين يـدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا فى حفرة من النار، وهذا فى روضة من رياض الجنة، لا يصـل من هذا إلى جاره شيء من حرّ ناره، ولا من هذا إلى جاره بشيء من نعيمه، وقدرة اللَّه أوسع من ذلك وأعجب «(۱)».

وقال الرازى فى تفسير قوله: «ويَستبشـرونَ بالَّذينَ لَمْ يلحقُوا بهِمْ منْ خَلفِهِم» والقوم الـذين لم يلحقوا بهم لا بـد وأن يكونوا فى الدنيا، فاسـتبشارهم بمن يكون فى الدنيا لا بد وأن يكون قبل قيام القيامة، والإسـتبشار لا بد وأن يكون مع الحياة، فدلّ هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة «(۲)».

۸- قال ابن تيميـة: الأحاديث الصـحيحة المتواترة تـدلّ على عود الروح إلى البـدن وقت السؤال، وسؤال البـدن بلا روح قول قاله طائفة من النـاس، وأنكره الجمهور، قـابلهم آخرون بـأنّ السؤال للروح بلا- بـدن، وهـذا ما قاله ابن مرة وابن حزم، وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة تردّه، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص «(۳)».

۹- قال التفتازانى: ويدل على الحياة بعد الموت قوله تعالى:

«النّارُ يُعرَضونَ عَليها غُـدوّاً وعَشـيّاً» (غافر/ ۴۶) وقوله: «أُغرقُوا فـأُدخِلُوا ناراً» (نوح/ ۲۵) وقوله: «ربّنـا أمتنـا اثنتَين وأحييتَنَا اثنَتَينِ» (غافر/ ۱۱).

وليست الثانية إلّافى القبر، وقوله: «يُرزقون فَرحينَ بِما آتاهُمْ اللَّهُ» (آل عمران/ ۱۶۹-/ ۱۷۰).

۱- شرح الرسالة الطحاوية/ ۳۹۶-/ ۳۹۷.

۲- الرازى: مفاتيح الغيب ۴/ ۱۴۶، ج ۹/ ۹۰.

۳- ابن القيم: الروح/ ۵۰ معبراً عن ابن تيمية ب« شيخ الإسلام».

ص:۶۳

وقوله صلی الله علیه و آله: «القبر روضة من ریاض الجنة، أو حفرة من حفر النیران».

والأحادیث فی هذا الباب متواترة المعنی.

وقال فی موضع آخر:

اتّفق الإسلامیون علی حقیة سؤال منکر ونکیر فی القبر، وعذاب الکفار وبعض العصاة فیه، ونسب خلافه إلی بعض المعتزلة.

قال بعض المتأخرین منهم: حُکی إنکار ذلک عن ضرار بن عمرو، وإنّما نسب إلی المعتزلة، وهم براء منه لمخالطة ضرار إیاهم، وتبعه قوم من السفهاء المعاندین للحق.

لنا الآیات، کقوله تعالی فی آل فرعون: «النّارُ یُعرَضُونَ عَلیها غدّواً وعشیّاً» (غافر/ ۴۶)، أی قبل القیامة، وذلک فی القبر، بدلیل قوله تعالی: «ویومَ تَقومُ الساعةُ أدخِلوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذاب» (غافر/ ۴۶)، وکقوله تعالی فی قوم نوح: «أُغرِقوا فأُدخلوا ناراً» (نوح/ ۲۵)، والفاء للتعقیب، وکقوله تعالی: «ربَّنا أمَتّنَا اثنَتینِ وأحیَیّتَنا اثنتَین» (غافر/ ۱۱)، وإحدی الحیاتین لیست إلّافی القبر، ولا یکون إلّانموذج ثواب أو عقاب بالإتفاق، وکقوله تعالی: «ولا تَحسبنَّ الَّذین قُتلوا فی سَبیلِ اللَّهِ أمواتاً بلْ أحیاءٌ عندَ ربِّهِمْ یُرزَقونَ فَرحینَ بِما آتاهُمْ اللَّهُ» (آل عمران/ ۱۶۹).

والأحادیث المتواترة المعنی کقولهصلی الله علیه و آله: «القبر روضة من ریاض الجنة أو حفرة من حفر النیران» وکما روی أنّه مرّ بقبرین، فقال: «إنّهما لیعذّبان ..» «(۱)»، وکالحدیث المعروف فی الملکین الّلذین یدخلان القبر ومعهما مرزبتان، فیسألان المیت عن رَّبه وعن دینه وعن نبیّه .. إلی غیر

۱- أخرجه الإمام البخاری فی کتاب الوضوء/ ۵۵، ۵۶ وکتاب الجنائز/ ۸۹.

ص:۶۴

ذلک من الأخبار والآثار المسطورة فی الكتب المشهورة، وقد تواتر عن النبیصلی الله علیه و آله استعاذته من عذاب القبر، واستفاض ذلک فی الأدعیة المأثورة «(۱)».

۱۰- وقال الشریف الجرجانی: إحیاء الموتی فی قبورهم مسألة منكر ونكیر وعذاب القبر للكافر والفاسق كلّها حقّ عندنا، اتّفق علیه سلف الأُمة قبل ظهور الخلاف، واتّفق علیه (الأكثر بعده) أی بعد ظهور الخلاف، (وأنكره) مطلقا «ضرار بن عمرو وبشر المریسی وأكثر المتأخرین من المعتزلة»، وأنكر الجبّائی وابنه والبلخی تسمیة الملكین منكراً ونكیراً وقالوا: إنّما المنكر ما یصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكیر إنما هو تفریع الملكین له.

لنا فی إثبات ما هو حقّ عندنا وجهان: الأول قوله تعالی: «النّار یُعرضونَ عَلیها غدوّاً وَعشیاً ویومَ تقومُ الساعةُ أدخِلوا آلَ فِرعونَ أشدَّ العَذاب»، عطف فی هذه الآیة عذابَ القیامة علی العذاب الذی هو عرض النارصباحاً ومساءً، فعلم أنّه غیره، ولا شبهة فی كونه قبل الإنشار من القبور، كما یدل علیه نظم الآیة بصریحه، وما هو كذلک لیس غیر عذاب القبر اتّفاقا، لأنّ الآیة وردت فی حقّ الموتی، فهو هو «(۲)».

۱۱- وقال الآلوسی: إنّ حیاة الشهداء حقیقة بالروح والجسد ولكنّا لا ندركها فی هذه النشأة «(۳)».

هذه كلمات أعلام السنّة، وإلیک كلام بعض مشایخ الشیعة

۱- التفتازانی: شرح المقاصد: ۵/ ۱۱۲/ ۱۱۴.

۲- الجرجانی: شرح المواقف ۸/ ۳۱۷ وقد مزَج كلامه مع عبارة المواقف للإیجی، فما ذكره نظریة الماتن والشارح.

۳- الآلوسی: روح المعانی ۲/ ۲۰.

ص:۶۵

الإمامية:

۱۲- قال الشيخ المفيد فی شرح عقائد الصدوق: فأمّا كيفية عذاب الكافر فی قبره وتنعّم المؤمن فيه، فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ اللَّه تعالی يجعل روح المؤمن فی قالب مثل قالبه فی الدنيا فی جنة من جناته، ينعّمه فيها إلی يوم الساعة، فإذا نفخ فی الصور أنشأ جسده الذی فی التراب وتمزّق، ثم أعاده إليه وحشره إلی الموقف وأمر به إلی جنة الخلد ولا يزال منعماً بإبقاء اللَّه.

غير أنّ جسده الذی يعاد فيه لا يكون علی تركيبه فی الدنيا، بل يعدل طباعه، ويحسنصورته ولا يهرم مع تعديل الطباع ولا يمسّه نصب فی الجنة ولا لغوب.

والكافر يجعل فی قالب كقالبه فی محلّ عذاب يعاقب، ونار يعذب بها حتی الساعة ثم ينشئ جسدَه الذی فارقه فی القبر فيعاد إليه فيعذّب به فی الآخرة عذاب الأبد ويركّب أيضاً جسده تركيباً لا يفنی معه «(۱)».

هذه اثنتا عشرة كلمة من أعلام السنة والشيعة تعرب عن اتفاق الأمة علی استمرار الحياة بعد الانتقال عن الدنيا، أو تجديد الحياة بعده، وأن الموت ليس بمعنی بطلان الإنسان إلی يوم القيامة، بل هناك مرحلة بين المرحلتين، لها شؤون وأحكام.

ويؤيد ما ذكره، وما جری عليه عمل الناس قديماً وإلی الآن من تلقين الميت فی قبره، ولولا أنّه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثاً، وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتجّ عليه بالعمل.

۱- المفيد: أوائل المقالات:/ ۴۹ ط تبريز، شرح عقائد الصدوق/ ۴۴ ط تبريز.

ص:۶۶

وقال ابن القیم- تلمیذ ابن تیمیة- بعد نقل ما ذکرنا عن الإمام أحمد: إنّ اتّصال العمل به فی سائر الأمصار والأعصار من غیر إنکار، کاف فی العمل به.

إلی أن قال: فلولا أنّ المخاطب یسمع، لکان ذلک بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وإن استحسنه واحد، لکن العلماء قاطبة علی استقباحه واستهجانه، وقد روی أبو داود فی سننه بإسناد لا بأس به: أنّ النبیصلی الله علیه و آله حضر جنازة رجل فلمّا دفن قال: «سلو لأخیکم التثبت فإنّه الآن یسأل»، فأخبر أنّه یسأل حینئذ، وإذا کان یسأل فانّه یسمع التلقین «(۱)».

وقال: إن إلّارواح علی قسمین: أرواح معذّبة، وأرواح منعّمة، فالمعذبة فی شغل ما هی فیه من العذاب، عن التزاور والتلاقی، والأرواح المنعّمة المرسلة غیر المحبوسة تتلاقی وتتزاور، فتکون کل روح مع رفیقها الذی هو علی مثل عملها، وروح نبینا فی الرفیق الأعلی، قال اللَّه تعالی: «ومَنْ یُطِعِ اللَّهَ والرَّسولَ فأُولئکَ مع الَّذین أنعم اللَّه عَلَیهم من النبیّینَ والصدِّیقینَ والشهداءِ والصالحینَ وحَسُن أولئک رَفیقاً» وهذه المعیة ثابتة فی الدنیا وفی دار البرزخ وفی دار الجزاء، والمرء مع من أحبّ فی هذه الدور الثلاثة «(۲)».

إجابة علی سؤال:

إنّ هنا سؤالًا أثاره کثیر من المفسرین وکلّ تخلّص عنه بوجه:

۱- ابن القیم شمس الدین: الروح/ ۱۳ و ۱۷ ط بیروت والآیة من سورة النساء ۶۹.

۲- ابن القیم شمس الدین: الروح/ ۱۳ و ۱۷ ط بیروت والآیة من سورة النساء ۶۹.

ص:۶۷

وهو أنّا نشاهد أجساد الموتى ميتة فى القبور، فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه من التنعيم والتعذيب، والسؤال والإجابة؟

وهناك من تخلّص عنه زاعماً أنّ الحياة البرزخية حياة مادية بحتة، قائمة بذرات الجسد المادّى المبعثرة فى الأرض، منهم الرازى قال:

أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً فى الحياة، ولا امتناع فى أن يعيد اللَّه الحياة إلى كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف «(۱)».

يلاحظ عليه: أنّ الإعتراف بأنّ الحياة البرزخية من أقسام الغيب الذى يجب الإيمان به وإن لم نعرف حقيقتها، أولى من هذا الجواب الغامض الذى لا يفيد القارىء شيئاً سوى أنَّ التعبّد ورد بذلك.

لكن الظاهر من أكثر أهل السنة العاكفين فى العقائد بالأخبار والآثار، أنّ هنا جسداً عليصورة الطير تتعلّق به الروح، وقد استدل له بما أخرجه عبد الرزاق، عن عبد اللَّه بن كعب بن مالك قال: قال رسول اللَّه: «إنّ أرواح الشهداء فيصور طير خضر معلّقة فى قناديل الجنة حتى يرجعها اللَّه تعالى إلى يوم القيامة».

وفى بعض الروايات: «أنّ أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر تعلّق من ثمر الجنة أو شجر الجنة».

أخرج مسلم فيصحيحه عن ابن مسعود: مرفوعاً: «أن أرواح الشهداء عند اللَّه فى حواصل طيور خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث

۱- الرازى: التفسير الكبير ۴/ ۱۴۵-/ ۱۴۶.

ص:۶۸

شاءت ثم تأوی إلی قنادیل تحت العرش» «(۱)».

ویبدو أنّ الروایات إسرائیلیات، وقد رُدّ مضمون هذه الروایات فی روایات أئمة أهل البیت، فعالجوا مشکلة الحیاة البرزخیة بشکل قریب إلی الأذهان، وهو خلق جسد آخر علیصور أبدانهم فی الدنیا بحیث لو رأی الرائی أحدهم فقال «رأیت فلاناً».

روی الشیخ أبو جعفر الطوسی فی تهذیب الأحکام مسنداً إلی علی بن مهزیار، عن القاسم بن محمّد، عن الحسین بن أحمد، عن یونس ابن ظبیان قال: کنت عند أبی عبد اللّه (الإمام الصادق) علیه السلام جالساً فقال: «ما یقول الناس فی أرواح المؤمنین؟» قلت: یقولون: فی حواصل طیر خضر فی قنادیل تحت العرش، فقال أبو عبد اللّه: «سبحان اللّه، المؤمن أکرم علی اللّه أن یجعل روحه فی حوصلة طائر أخضر، یا یونس المؤمن إذا قبضه اللّه تعالیصیرّ روحه فی قالب کقالبه فی الدنیا فیأکلون ویشربون، فإذا قدم علیهم القادم عرفوه بتلک الصورة التی کانت فی الدنیا».

روی ابن أبی عُمر، عن حماد، عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد اللّه علیه السلام عن أرواح المؤمنین؟ فقال: «فی الجنة علیصور أبدانهم لو رأیته لقلت فلان» «(۲)».

۱- الآلوسی: روح المعانی ۲/ ۲۱.

۲- الطبرسی: مجمع البیان ۱/ ۲۳۶ ط صیدا، لاحظ الکافی للکلینی: الجزء ۳/ ۲۴۵ وبما أنّ الشیخ الطبرسی نقل الروایة عن الکافی، ذکرنا موضع الروایة منه.

ص:۶۹

الفصل الخامس البرزخيّون ينتفعون بأعمال المؤمنين

اشارة

إذا كانت حقيقة الإنسان هو روحهُ ونفسه الباقية غير الداثرة، وكانت الصلة بين الدارين (دار الدنيا ودار البرزخ) موجودة، وكانت متعلقة بأجسام تناسبها وهم بين منعّم ومعذّب، يقع الكلام فى انتفاع أهل البرزخ بأعمال المؤمنين المتواجدين فى دار الدنيا إذا قاموا بالإستغفار لهم بأعمال نيابة عنهم، وعدمه.

وقبل الدخول فيصلب الموضوع لنا كلامٌ نقدّمه: هو أنّ الإيمان إنّما ينتفع به الإنسان إذا انضمّ إليه العمل الصالح، ولا ينفع إيمان إذا خلا عنه، ولأجل ذلك يذكر سبحانه العمل الصالح إلى جانب الإيمان فى أكثر آيات الكتاب العزيز.

وقد أخطأت «المرجئه» لمّا زعموا أنّ الإيمان المجرّد وسيلة نجاة ومفتاح فلاح، فقدّموا الإيمان وأخّروا العمل.

وقد شجب أهل البيت عليهم السلام هذه الفكرة الباطلة حيث حذّروا الآباء ودعوهم إلى حفظ أبنائهم منهم: «بادروا أولادكم بالأدب قبل أن

ص:۷۰

يسبقكم إليهم المرجئة» «(۱)».

فالإعتماد على الإيمان مجرداً عن العمل فعل النوكى والحمقى، وهو لا يفيد ولا ينفع أبداً.

ولقـد كانت لهـذه الفكرة الباطلةصـيغة أُخرى عنـد اليهود، فهم كانوا يعتمـدون على مسألة الإنتساب إلى الآباء وبيت النبوة، فزعموا أنّ الثواب لهم والعقـاب على غيرهـم حيث قـالوا: «نَحَنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبّاؤُهُ» أو قالوا: «لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إلّاأيّاماً مَعـدودَة»، وفى ظلّ هـذه الفكرة اقترفوا المنكرات واستحلّوا سفكك دماء غيرهم من الأقوام والأُمم والإستيلاء على أموالهم.

والحق الـذى عليه الكتاب والسـنّة هو: أنّ المنجى هو الإيمان المقترن بالعمل الصالـح، كما أنّ التسويف فى إتيان الفرائض باطل جداً، وهو أن يؤخّر الإنسان الواجب ويقول سوف أحجّ مثلًا، ويقول ذلك كلّ سنة ويؤخر الفريضة.

وهـذا هو الإمـام أمير المؤمنين على عليه السـلام يؤكّـد فى خطبته على العمـل إذ يقول: «وإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغـداً حساب ولا عمل» «(۲)».

ويقول: «ألا ـ وإنَّ اليومَ المِضـمار وغـداً السـباق، والسَّبَقـةُ الجنّـة، والغايـةُ النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته، أَلا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه» «(۳)».

وهذا هو ما اتّفقت عليه الأُمة الإسلامية وتضافرت عليه

۱- الكافى ۶/ ۴۷، الحديث ۵.

۲- نهج البلاغة، الخطبة ۴۲.

۳- نهج البلاغة، الخطبة ۲۸.

ص:۷۱

الأحاديث والأخبار.

انتفاع الإنسان بعمله وبعمل غيره:

لكنّه سبحانه بفضله و جوده الواسعين وسّع على الإنسان دائرة الإنتفاع بالأعمال بحيث شمل الإنتفاع بعد الموت، بالأعمال التى تتحقق بعد الموت، وهى على نوعين:

الأول: ما إذا قام الإنسان بعمل مباشرة فى زمانه ومات ولكن بقى العمل يستفيد منه الناس كصدقة جارية أجراها، أو إذا ترك علماً ينتفع به، ويقرب منه ما إذا ربّى ولداًصالحاً يدعو له، فهو ينتفع بصدقاته وعلومه، لأنّها أعمال مباشرية باقية بعد موته وليست كسائر أعماله الفانية بفنائه الزائلة بموته، فالجسر الذى بناه، والنهر الذى أجراه، والمدرسة التى شيدّها، والطريق الذى عبّده، إنّما تحقق بسعيه، فهو ينتفع به.

وقد وردت فى هذا المجال روايات كثيرة، قام بنقل بعضها ابن القيم فى المسألة السادسة فى كتاب له بإسم «الروح» قال:

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام أنّه لا يصل إلى الميت شىء البته لا بدعاء ولا غيره، ثم قال: فالدليل على انتفاعه بما تسبّب إليه فى حياته ما رواه مسلم فيصحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أنّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّامن ثلاث:

صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدصالح يدعو له» فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنّها منه، فأنّه هو الذى تسبّب إليها.

وفى سنن ابن ماجة فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول

ص:۷۲

اللَّه صلى الله علیه و آله: «إنّما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علّمه ونشره، أو ولداًصالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أكراه، أوصدقةً أخرجها من ماله فيصحته وحياته يلحقه من بعد موته».

وفيصحيح مسلم أيضاً من حديث جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّهصلى الله علیه و آله: «من سنّ فی الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أُجورهم شیء، ومن سنّ فی الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شیء».

وهذا المعنى روى عن النبيصلى الله علیه و آله من عدة وجوهصحاح وحسان.

وفی المسند عن حذيفة قال: سأل رجل على عهد رسول اللَّهصلى الله علیه و آله فأمسك القوم، ثم إنّ رجلًا أعطاه فأعطى القوم، فقال النبيصلى الله علیه و آله: «من سنّ خيراً فاستنّ به كان له أجره ومن اجور من تبعه غير منتقص من أُجورهم شيئاً، ومن سنّ شراً فاستنّ به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً».

وقد دلّ على هذا قولهصلى الله علیه و آله: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنّه أوّل من سنّ القتل» فإذا كان هذا فی العذاب والعقاب ففی الفضل والثواب أولى وأحرى «(۱)».

ويؤيده ما ورد فی شأنصلاة الجماعة حيث تُفضَّل بسبع وعشرين درجة أو خمس وعشرين درجة عليصلاة بغير جماعة «(۲)».

۱- ابن القيم تلميذ ابن تيمية م/ ۷۵۱: كتاب الروح، المسألة السادسة عشرة، ونقلها برمتها محمّد الفقی من علماء الأزهر فی كتابه التوسل والزيارة: ۲۲۶-/ ۲۲۷.

۲- صحيح مسلم ۲/ ۱۲۸، باب فضل صلاة الجماعة.

ص:۷۳

فكيف ينتفع المصلّون بعضهم ببعض؟ وكلّما زاد المصلون ازدادوا انتفاعاً.

الثانى: فيما إذا لم يكن للميت فى العمل سعى ولا تسبيب، فهل يصل ثواب عمل الغير إليه؟

الظاهر من الكتاب والسنة هو أنّه سبحانه بعميم فضله وواسع جوده يوصل ثواب عمل الغير إلى الميت، فيما إذا قام الغير بعملصالح نيابة عن الميت، وبعث ثوابه إليه، ويدل على ذلك لفيف من الآيات وطائفة كبيرة من الأحاديث والأخبار.

عرض المسألة على الكتاب:

لقدصرّحت الآيات بأنّ الإنسان المؤمن ينتفع بعمل غيره، وإن لم يكن له فيه سعى، ونحن نشير إلى بعض هذه الموارد على سبيل المثال لا الحصر:

۱- استغفار الملائكة للمؤمن، قال تعالى:

«الَّذينَ يَحملونَ العرشَ ومَنْ حولَهُ يُسبِّحونَ بِحَمدِ ربِّهِمْ ويُؤمِنونَ به ويَستغفرونَ للَّذينَ آمَنوا ربَّنا وَسِعْتَ كلَّ شىء رَحمةً وعِلماً فَاغِفر للَّذينَ تابُوا واتَّبَعوا سَبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجَحيمِ» (غافر/ ۷)

وقال تعالى أيضاً:

«تكادُ السَّمواتُ يَتفطَّرنَ مِنْ فَوقِهِنَّ والملائكةُ يُسَبَّحونَ بِحمدِ

ص:٧۴

ربِّهِمْ ويَستغفرونَ لِمَنْ فى الأرض ألا إنَّ اللَّهَ هوَ الغفورُ الرَّحيمُ» (الشورى/ ۵)

٢- دعاء المؤمنين للذين آمنوا:

«والَّذينَ جَاءوا مِنْ بَعدهِمْ يَقولونَ رَّبنا اغفِرْلَنا ولإخوانِنا الَّذينَ سَبقونا بِالإيمانِ ولا تَجعلْ فى قُلوبنا غِلّاً للَّذينَ آمنوا رَّبنا إنَّكَ رَوؤفٌ رَحيم» (الحشر/ ١٠)

الأحاديث الدالة على انتفاع الميت بفعل الحيّ:

تدلّ روايات كثيرة على أنّ الميت ينتفع بعمل الغير، إمّا بدعائه فيكفى فى ذلك ما تواتر عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه و آله من زيارته لأهل بقيع الغرقد ودعائه لهم، وزيارته لشهداء أُحد وتعميمهم بالدعاء، وتكرار ذلك منه، ولو لم ينتفعوا بدعائه لما قام به عليه السلام، وقد عرفتَ الآيات الدالة على انتفاع الميت بدعاء الحى.

إنّما الكلام فيما إذا قام بعمل (لا بدعاء) قربى نيابة عن الميت، فالروايات المتضافرة تدل عليصحة العمل ووصول ثوابه إليه وانتفاع الميت به، وقد وزّعت الروايات فى الصحاح والمسانيد فى مختلف الأبواب كالصوم والحج والعتق والنذر والتصدّق والسقى وقراءة القرآن، فنحن نذكر هذه الروايات على هذا الترتيب، ولعلّ المتتبّع فى الصحاح والمسانيد يقف على أكثر من ذلك.

أ- انتفاع الميت بصوم الغير نيابة عنه:

١- روى الشيخان عن عائشة: أنّ رسول اللَّه قال: «من مات وعليه صيام،صام عنه وليّه».

٢- روى الشيخان أيضاً عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبيّ وقال: يا رسول اللَّه إنّ أُمّى ماتت وعليهاصوم شهر أفأقضى عنها؟ قال:

ص:۷۵

«نعم فدين اللّه أحق أن يقضى».

۳- وفى روايـة: جـاءت امرأة إلى رسول اللّه وقـالت: يـا رسول اللّه إنّ أُمّى ماتت وعليهاصوم نـذر أفأصوم عنها؟ قال: «أفرأيتِ لو كان على أُمك دين فقضيْتيهِ أكان يؤدّى ذلك عنها؟ قالت: نعم قال: «فصومى عن أُمك».

۴- روى بريـدة قـال: بينـا أنـا جـالس عنـد رسول اللّه إذ أتته امرأة وقـالت: «إنى تصـدّقت على أُمّى بجاريـة وإنّها ماتت، فقال: «وجب أجرك، وردّها عليك الميراث».

فقالت: يا رسول اللّه إنّه كان عليهاصوم شهر أفأصوم عنها؟ قال:

«صومى عنها» قالت: إنّها لم تحجّ قطّ، أفأحج عنها؟ قال: «حجّى عنها» «(۱)».

ب- انتفاع الميت بحج الغير نيابة عنه:

۵- قال سـعد بن عبادة: يا رسول اللّه، إنّ أُم سـعد فى حياتها كانت تحـجّ من مالى وتتصدّق وتَصِل الرحم وتنفق من مالى، وإنّها ماتت فهل ينفعها أن أفعل ذلك عنها؟ قال: «نعم».

۶- وقال (ص): «لو كان مسلماً فَأَعْتقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك».

وقد مضى جواز الحج نيابة فى الرواية الرابعة.

ج- انتفاع الميت بعتق الغير عنه:

۷- عن عطاء بن رباح قال: قال رجل: يا رسول اللّه أعتق عن أُمّى؟

۱- هذه الروايات ۱-/ ۵ رواها مسلم فى صحيحه، ج ۳، باب قضاء الصيام عن الميت: ۱۵۵-/ ۱۵۶.

ص:۷۶

قال: «نعم» قال: أينفعها؟ قال: «نعم».

۸- عن عبد الرحمان بن أبى عمرة الأنصارى: أنّ أُمّه أرادت أن تعتق فأخرت ذاك إلى أن تصبح فماتت؟ قال عبد الرحمان: قلت للقاسم ابن محمّد: أينفعها أن أعتق عنها؟ قال القاسم: أتى سعد بن عبادة رسول اللَّه فقال: إنّ أُمى هلكت فهل ينفعها أن أعتق عنها؟ فقال رسول اللَّه: «نعم».

وقد مضى فى الرواية السادسة ما يدل على جواز العتق عن الغير:

د- انتفاع الميت بعمل الغير فيما إذا نذر ولم يعمل:

۹- جاء سعد بن عبادة إلى رسول اللَّه فقال: إنّ أُمى كان عليها نذر، أفاقضيه؟ قال: «نعم» قال: أينفعها؟ قال: «نعم».

ورواه مسلم بلفظ آخر قال: استفتى سعد بن عبادة رسول اللَّه فى نذر كان على أُمّه توفيت قبل أن تقضيه؟ قال رسول اللَّه: «فاقضه عنها».

ه- انتفاع الميت بصدقة الغير نيابة عنه:

۱۰- عن أبى هريرة: أنّ رجلًا قال للنبىّ: إنّ أبى مات وترك مالًا ولم يوص، فهل يكفّر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم».

۱۱- عن معاذ، قال: «أعطانى رسول اللَّه (ص) عطية، فبكيت فقال:

«ما يبكيك يا معاذ»؟ قلت: يارسول اللَّه كان لأُمى من عطاء أبى نصيب تتصدّق به وتقدّمه لآخرتها وإنّها ماتت ولم توص بشىء قال: «فلا يبك اللَّه عينك يا معاذ، أتريد أن تُؤجر أُمك فى قبرها؟ قلت: نعم يارسول اللَّه، قال: «فانظر الذى كان يصيبها من عطائك فامضه لها، وقل اللّهم تقبّل من أُم معاذ».

ص:۷۷

فقال قائل: يارسول اللّه لمعاذ خاصة أم لأُمتك عامة؟ قال: «لأُمتى عامة».

۱۲- عن سعد أنّه سأل النبيصلى الله عليه و آله قال: يا نبىّ اللّه إنّ أُمى قد افتلتت وأعلم أنّها لو عاشت لتصدّقت، أفإن تصدَّقتُ عنها أينفعها ذلك؟

قالصلى الله عليه و آله: «نعم» فسأل النبيصلى الله عليه و آله: أىّ الصدقة أنفع يارسول اللّه؟ قال:

«الماء»، فحفر بئراً، وقال: هذه لأُم سعد.

واللام فى قوله: «هذه لأُم سعد» هى اللام الداخلة على الجهة التى وجهت إليه الصدقة، وليست من قبيل اللام الداخلة على المعبود المتقرّب إليه، مثل قولنا: نذرت للّه، وإن شئت قلت: اللام فى قوله «لأُم سعد» مثل اللام الواردة فى قوله تعالى: «إنَّما الصَّدقاتُ للفُقراءِ» (التوبة/ ۶۰).

۱۳- وفيصحيح البخارى عن عبد اللّه بن عباس رضى الله عنه: «إنّ رجلًا أتى النبىّ فقال: يارسول اللّهصلى الله عليه و آله إنّ أُمّى افتلتت نفسها ولم توصِ، وأظنّها لو تكلّمت تصدقت، أفلها أُجر إن تَصدّقتُ عنها؟ قال: «نعم».

۱۴- وفيصحيح البخارى عن عبد اللّه بن عباس رضى الله عنه: «إنّ سعد ابن عبادة توفّيت أُمه وهو غائب، فأتى النبيصلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللّه إنّ أُمى توفّيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدّقتُ عنها؟ قال: «نعم»، قال: «فإنّى أشهدك إنّ حائطى المخرافصدقة عنها» والمراد بالحائط البستان، والمخراف عبارة عن اسم ذلك الحائط.

۱۵- وعن عبد اللّه بن عمر: «إنّ العاص بن وائل نذر فى الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وإنّ هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين، وإنّ عمراً سأل النبيصلى الله عليه و آله عن ذلك فقال: «أمّا أبوك فلو أقرّ بالتوحيد فصمت وتصدّقت عنه نفعه ذلك» ورواه الإمام أحمد.

ص:۷۸

و- انتفاع الميت بالذكر والدعاء والقراءة والتحية:

۱۶- روى ابن ماجة فيصحيحه: إنّ رسول اللَّه قال: «اقرأوا (يس) على موتاكم».

۱۷- وعن أبى هريرة: «زوروا موتاكم ب (لا إله إلّااللَّه)».

۱۸- «ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلّم عليه ويقعد عنده إلّاردّ عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده».

۱۹- «ما من رجل يمرّ بقبر كان فيه (من) يعرفه فى الدنيا فيسلّم عليه إلّاعرفه وردّ عليه السلام».

۲۰- «ما الميت فى قبر إلّاشبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة من أب أو أُم أو ولد أوصديق ثقة، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها، وإنّ اللَّه عزّ وجلّ ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال، وإنّ هدية الأحياء إلى الأموات الإستغفار لهم والصدقة عنهم».

۲۱- من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: قال: قال رسول اللَّه: «إذاصلّيتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».

۲۲- وفيصحيح مسلم من حديث عوف بن مالك: قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله على جنازة، فحفظت دعاءه وهو يقول: «اللّهمّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله وأوسع مدخله، وأغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه من الخطايا كما نقّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلًا خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار».

۲۳- وفى السنن عن واثلة بن الأسقع قال:صلّى رسول اللَّه على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «اللّهم إنّ فلاناً ابن فلان فى ذمتك

ص:٧٩

وحبل جوارك، فقهِ فتنة القبر وعذابه، وأنت أهل الوفاء والحقّ، فاغفر له وارحمه إنّك أنت الغفور الرحيم».

٢۴- وفى السنن من حديث عثمان بن عفان (رض) كان النبى (ص) إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم واسالوا له التثبت فأنّه الآن يسأل».

ولو استقصيت الصحاح والسنن لوقفت على روايات كثيرة من هذا القسم.

أضف إلى ذلك ما ننقله عن النبى الأكرمصلى الله عليه و آله عند ما زار بقيع الغرقد، من دعائه لأهله وترحيمه لهم.

إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار الواردة فى هذا المجال، ومن أراد التبسط فليرجع إلى مظانّها «(۱)».

موقف المذاهب الإسلامية من هذه المسألة:

وهؤلاء هم أئمة المذاهب الثلاثة (الحنبلى والشافعى والحنفى) يفتون بانتفاع الميت بعمل الحى حتى إذا لم يوص به ولم يكن له فيه سعى.

فهؤلاء هم فقهاء الحنابلة يقولون: ومن توفى قبل أن يحجّ الواجب عليه سواء أكان ذلك بعذر أو بغير عذر، وجب عليه أن يخرج من جميع ماله نفقة حجة وعمرة ولو لم يوص «(۲)».

۱- لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات: صحيح مسلم، كتاب النذر، ج ۵/ ۷۳-/ ۷۸ وكنز العمال ۶ ص ۵۹۸-/ ۶۰۲ رقم ۱۷۰۵۰-/ ۱۷۰۷۱، والروح لابن القيم ۱۱۸-/ ۱۲۱ وغيره، والتوسل والزيارة فى الشريعة الإسلامية للشيخ الفقى ۲۲۹ وغيرها.

۲- الفقه على المذاهب الأربعة للجزرى ۱/ ۵۷۱.

ص:۸۰

وهذا هو الفقه الحنفی يقول: أمّا إذا لم يوص وتبرّع أحد الورثة أو غيرهم فإنّه يرجی قبول حجتهم عنه إن شاء اللَّه «(۱)».

وهذا هو الشافعی يقول: فإن عجز عن مباشرة الحج بنفسه يحج عنه الغير بعد موته من تركته (ولم يقيد بالإيصاء وعدمه) «(۲)».

وقال ابن القيم: واختلفوا فی العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر: فذهب الإمام أحمد وجمهور السلف إلی وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبی حنيفة، نصّ علی هذا الإمام أحمد فی رواية محمّد بن أحمد الكحال قال: قيل لأبی عبد اللَّه: الرجل يعمل الشیء من الخير منصلاة أوصدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو أُمّه، قال: أرجو، أو قال: الميت يصل إليه كل شیء منصدقة أو غيرها، وقال: أيضاً اقرأ آية الكرسی ثلاث مرات وقل هو اللَّه أحد وقل:

اللّهمّ إنّ فضله لأهل المقابر.

وقال: فقد أخرج ابن أبی شيبة فی مصنّفه والخلال فی جامعه عن الشعبی بسندصحيح، قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلی قبره، يقرأون القرآن.

وقال النووی فی شرح المهذب: يستحب (أی للزائر للأموات) أن يقرأ ما تيسّر ويدعو لهم عقبها، نص عليه الشافعی واتفق عليه الأصحاب.

۱- المصدر نفسه ۱/ ۵۶۷.

۲- المصدر نفسه ۱/ ۵۶۹.

ص:۸۱

وقال فى الاذكار: قال الشافعى والأصحاب: يستحب أن يقرأوا عند الميت شيئاً من القرآن قالوا: فإن ختموا القرآن كلّه كان حسناً.

ثم قال: وقد روى عن بعض الشافعية أنه لا يصل ثوابها للميت.

ونقل عن جماعات من الشافعية أنهم أوّلوه بحمله على ما إذا لم يقرأ بحضرة الميت، أو لم ينو ثواب قراءته له، أو نواه ولم يدع «(۱)».

وهذه الروايات وإن أمكن المناقشة فى إسناد بعضها، لكن المجموع متواتر مضموناً، فلا يمكن ردّ الكل.

أضف إلى ذلك وجود رواياتصحيحة قاطعة للنزاع، والفقيه إذا لاحظ مع ما أفتى به أئمة المذاهب الثلاثة ينتزع ضابطة كلية، وهو وصول ثواب كلّ عمل قربى إلى الميت، إذا أتى به نيابة عنه، سواء كان العمل داخلًا فيما ذكر من الموضوعات أو خارجاً عنها، لأنّ الظاهر أنّ الموضوعات كالصوم والحج وغيرهما من باب المثال، لا من باب الحصر.

فتلك الآيات والروايات وهذه الفتاويصريحة فى جواز القيام بعمل ما عن الميت من دون إيصاء، وبعبارة أُخرى: من دون سعى له فيه، فإذا لم ينتفع الميت بعمل الغير فكيف جاز الحج عنه أو وجب، وكذا فى سائر الأُمور الأُخرى كالإستغفار والدعاء له وشفاعته والتصدّق والعتق عنه.

وقال الدكتور عبد الملك السعدى: لم يثبت أنّ النبيّصلى الله عليه و آله كان يقرأ شيئاً من القرآن إذا زار المقابر سوى ما ورد أنهصلى الله عليه و آله قال: «يس قلب القرآن اقرأوها على موتاكم» إذا حملنا لفظ الموتى على المعنى الحقيقى وهو خروج الروح من الجسد، لأنّ حمله على حالة النزع حمل اللفظ على معناه المجازى، والحمل على الحقيقة أولى، ومع هذا فلا مانع من

۱- ابن القيم، الروح: ۲۳۵-/ ۲۳۶.

ص:٨٢

قراءة القرآن فی المقبرة لعدم ورود المنع من ذلک، ولأنّ الأموات یسمعون القراءة فیستأنسون بها، ولأنّ الإمام أحمد کان یری ذلک حیث قد نهی ضریراً یقرأ عند القبور ثم أذن له بعد أن سمع أنّ ابن عمر رضی الله عنه أوصی أن یقرأ إذا دفن عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها، کما جاء فی المغنی لابن قدامة فی مسألة زیارة القبور «(۱)».

أمّا القول بأنّ القراءة عند القبور بدعة، فغیر مسلّم، لأنّ البدعة هی التی لم یرد بها نص خاص أو لم تدخل تحت القواعد العامة للإسلام، والقراءة مشروعة علی الإطلاق فی الإسلام بغضّ النظر عن مکان القراءة وزمانها ما لم یرد نهی عنها بوقت معین وزمان معین أو مکان معین.

۱- المغنی ۲/ ۵۶۷.

ص:۸۳

الفصل السادس حول الشبهات المطروحة

اشارة

لقـد وقفت بفضـل الآيات الكريمـة الناصـعة، والسّـنة النبويـة المطهّرة، وكلمات العلماء الأبرار على أنّ الموت ليس بمعنى فناء الإنسان وبطلانه، أو القضـاء على حقيقته وشخصـيته، بـل هو قنطرة تعبر بالإنسـان من دار إلى أُخرى إمّا محفوفـة بالنعمـة والراحـة، أو ملفوفة بالنقمة والتعذيب.

كما وقفت على أنّ الصلة بين الدارين غير منقطعة، وأنّ هناك مبادلة كلام بكلام حتى إنّ البرزخيين يسمعون خفق نعال المشيِّعين.

كما اتّضح أنّ المؤمنين ينتفعون بخير الأعمال التى يقوم بها أقرباؤهم وأصدقاؤهم.

كلّ ذلك بفضل منه سبحانه على عباده حتى ينتفعوا، بما يُقـدّم لهم إخوانُهم- بعـد انتقالهم من الدنيا- من أدعيةصالحة، وأعمال طيبة تهدى ثوابها إلى آبائهم وإخوانهم وأساتذتهم الذين وجبت حقوقهم عليهم.

غير أنّ تبعية الأهواء ربما تصدّ الإنسان عن البخوع للحق،

ص:۸۴

والخضوع أمام الحقيقة فيقدِّم رأيه الساقط على البراهين الواضحة، فتارة يُنكر وأُخرى يردّ الصلة بين الدارين، وثالثة يَجحد انتفاع البرزخيين بأعمال إخوانهم المؤمنين، كلّ ذلك في قوالب شبه ضئيلة نمّقته الأهواء والتقليد الأعمى ولا يقام له في سوق الإعتبار وزن ولا في مبوّأ الحق مقيل، «فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر» وإليك تلكم الشبهات مع أجوبتها:

الشبهة الأولى:

إنّ الحياة البرزخية حياة لا يعلمها إلّا اللّه، فهي حياة مستقلّة نؤمن بها ولا نعلم ماهيتها.

وإن بين الأحياء والأموات حاجزاً يمنع الاتّصال فيما بينهم، وعلى هذا فيستحيل الاتصال بينهم لا ذاتاً ولاصفاتاً، واللَّهُ سبحانه يقول: «ومِنْ ورائِهِمْ بَرزخٌ إلى يوم يُبعَثونَ» «(۱)».

الجواب: إنّ الحياة بمعناها الحقيقي مجهولة الكنه سواء أكانت دنيوية أم برزخية ولا يعلم حقيقتها إلّاخالقها، لكن ذلك لا يمنع في التعرّف عليها بشيء من آثارها: الإدراك والشعور في نوع الحيوان، والتفكّر والتعقّل في نوع آخر كالإنسان، فالحياة بلا شعور ودرك نفي لواقع الحياة.

على أنّه سبحانه بيّن بعض آثار الحياة البرزخية في الآيات النازلة في الشهداء، قال سبحانه: «بَلْ أحياءٌ عنَد ربِّهمْ يُرزقَونَ فَرِحين بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضلِه ويستَبشِرونَ بالَّذينَ لَمْ يلحقُوا بِهِمْ مِنْ خَلفِهِمْ ألّا خوفٌ

۱- الرفاعي: التوصّل إلى حقيقة التوسل/ ۲۶۷، سورة المؤمنون: ۱۰۰.

ص:۸۵

عَليهِمْ ولاـ همْ يَحزَنُونَ» (آل عمران/ ۱۶۹، ۱۷۰) والإمعان فيما سبق من الروايات حول الحياة البرزخية يرفع الحجاب عن آثارها وظواهرها.

ومع هذا التضافر والتنصيص فما معنى هذا التجاهل؟!

وأمّا البرزخ فهو بمعنى الحاجز، وكونه حاجزاً لا يعنى انقطاع الصلة بين أهل الدنيا وأهل البرزخ، بل يكون مانعاً من رجوع الناس إلى حياة الدنيا، لأنّ الحياتين قد قدّرتا على شكل خاص لا يختلط أحدهما بالآخر، فإنّ الحياة المادية القائمة على الكون والفساد والفعل والإنفعال تختلف عن الحياة البرزخية المبراة عن هذه الآثار، فبين الحياتين حاجز يمنع عن اختلاط إحداهما بالأُخرى، لا أنّ بينهما ستاراً حديدياً يمنع عن اللقاء أو عن السماع.

ويعرب عنصحة ما ذكرناه أنّ قوله سبحانه: «ومِنْ ورائِهمْ بَرزخٌ إلى يوم يُبعثونَ» جاء جواباً لتمنّى الكافر وسؤاله الرجوع إلى الدنيا حيث يقول: «ربِّ ارجعونِ لَعلِّى أعملصالحاً فِيما تركتُ» فردّ السؤال بقوله: «كلّا إنّها كلمةٌ هو قائِلُها ومنْ ورائِهمْ بَرزخٌ إلى يومِ يُبعَثونَ» (المؤمنون/ ۹۹، ۱۰۰).

ولوصحّ ما ذكره فما معنى تكلم النبيصالح وشعيب مع قومهما؟! وما معنى تكلّم النبّى الأكرمصلى الله عليه و آله ليلة المعراج مع الأنبياء؟! وما معنى تمنّى حبيب النجار بعد موته بقوله: «ياليتَ قَومى يَعلَمونَ»؟!

الشبهة الثانية:

إنّ اللّه سبحانه يقول: «وأن ليسَ للإنسانِ إلّاما سَعَى» (النجم/ ۳۹) فالآية تحصر الإنتفاع فى العمل الذى سعى فيه الإنسان قبل موته، ومعه

ص:۸۶

كيف ينتفع بعمل الغير الذى لم يسع فيه؟

والجواب على هـذه الشـبهة من وجوه متعـددة، ولكنّنا نذكر قبل الجواب ما يفيد القارىء فى المقام، وهو: أنّه لو كان ظاهر الآية هو ما يرومه المسـتدل وهو: أنّ الغير لاـ ينتفع بعمـل الغير مـا لم يكن قـد تسـبب إليه فى الحيـاة، لعـارَض هـذا ظاهر الآيات الأُخر والروايات المتضافرة فى ذلك المجال، إذ لو كان كذلك فما معنى استغفار المؤمنين لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان؟ وما معنى استغفار حملة العرش ومن حوله لأهل الإيمان؟ وما معنى هذه الروايات الواردة فى مجالات مختلفة، الدالة على انتفاع الميت بعمل الغير؟

كل ذلك يعرب عن أن للآية مفاداً آخر وهو غير ما يرومه المستدل، وإليك تفسير الآية بالإمعان فيها، وذلك بوجوه:

الوجه الأول:

إنّ سـياق الآيات المحيطة بهذه الآية سـياق ذمّ وتنديد، وسـياق إنذار وتهديد، فإنّ اللّه سـبحانه يبدأ كلامه العزيز بقوله: «أفرأيت الذى تَولّى وأعْطى قَليلًا وأكدى أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ فَهوَ يَرى أمْ لَمْ يُنَبّأْ بِما فيصُحِفِ مُوسى وإبراهيمَ الَّذِى وَفّى ألّا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرى وأنْ لَيسَ للإنسانِ إلّاماسَعى وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الجزاءَ الأوْفى وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنتهى» (النجم/ ۳۳-/ ۴۲).

فإنّك ترى أنّ الآيات الحاضـرة مثل سبيكـة واحدةصـيغت لغرض الإنذار والتهديد، خصوصاً قوله: «وأنْ ليسَ للإنسان إلّاماسَـعى» فإنّ هذه الآية وقعت بين آيتينصريحتين فى التهديد المتقدمة قوله: «ألّا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى» والمتأخّرة قوله: «وأَنّ سعيهُ سوفَ يُرى» ثم

ص:۸۷

قوله: «وأنّ إلى ربِّكَ المُنتهى».

فانّ كلّ ذلک يعطى أنّ موضوع هـذه الآيـة والآيات السابقة واللاحقة هو العقاب لا الثواب، والسيئة لا الحسنة، فالآية تصرّح بأنّ كل إنسان يحمل وزر نفسه ويعاقب بالعمل السيّئ الذى سعى فيه، وأمّا العمل السيّئ الذى اقترفه الغير ولم يكن للإنسان سعى فيه فلا يؤخذ به ولا يعاقب عليه.

وعلى ذلک فاللام فى قوله: «للإنسان» ليس للإنتفاع بل اللام لبيان الإستحقاق، وهو أحد معانيها «(۱)» مثل قوله: «وَيلٌ لِلمُطفّفينَ» وقوله: «لَهُمْ فى الدُّنيا خِزىٌ ولَهمْ فى الآخرةِ عذابٌ عَظيمٌ» (البقرة/ ۱۱۴) وقولهصلى الله عليه و آله:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وعلى ذلک فالموضوع الذى تركّز عليه الآيات هو العقاب لا الثواب، ولهذا تكون الآية خارجة عن مصبّ البحث، وهذا ظاهر لمن أمعن النظر.

الوجه الثانى:

لو فرضنا أنّ محور البحث فى هذه الآيات هو الأعم من الثواب والعقاب، وأنّ اللّام فى الآية للإنتفاع، ولكن الآية مع ذلک لا تنفى انتفاع الإنسان بعمل غيره إذا كان للإنسان المنتفع سعى فيه ولو بإيجاد أرضيةصالحة للإنتفاع به فى ذاته، فى قبال من لا توجد فى نفسه وذاته مثل هذه الأرضية والإستعداد والقابلية والمقتضى.

فمثلًا الإنسان ينتفع بشفاعة النبى الأكرمصلى الله عليه و آله يوم القيامة باتفاق

۱- قال ابن هشام فى المغنى ۱/ ۲۰۸ وللام الجارة إثنان وعشرون معنى، أحدها: الإستحقاق، وهى الواقعة بين معنى وذات .. مثل« لهم فى الدنيا خزى».

ص:۸۸

جميع المسلمين حتى الوهابيين، ولكن انتفاعه هذا ناشىء من أنّه سعى لهذا الإنتفاع حيث دخل فى حظيرة الإيمان باللّه وآياته.

وكذلك الأمر فى استغفار المؤمنين للمؤمن بعد موته، وكذا الأعمال الصالحة التى يهدى ثوابها إلى أحد وتكون على وجه يرتبط بسعيه فى الدخول فى زمرة المؤمنين.

ولذلك لو كان مشركاً أو ممّن تحبط أعماله، لا يصل إليه ذلك الثواب ولا ينتفع بعمل الغير.

وقد تفطّن لهذا الجواب بعض أئمة أهل السنّة.

قال أبو الوفاء بن عقيل: إنّ الإنسان بسعيه وحسن معاشرته اكتسب الأصدقاء وأولد الأولاد وتزوّج وأسدى الخير وتودّد للناس، فنشأ عن ذلك أنّهم ترحّموا عليه وأهدوا له العبادات، وقد كان ذلك من آثار سعيه كما قالصلى الله عليه و آله: «إنّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه» ويدل على ذلك الحديث الآخر: «وإذا مات العبد انقطع عمله إلّامن ثلاث ..».

وقال الشيخ الفقى: «هذا جواب يحتاج إلى إتمام، فإنّ العبد بإيمانه وطاعته للّهورسوله قد سعى فى انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله، كما ينتفع بعملهم فى الحياة مع عمله، فإنّ المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض فى الأعمال التى يشتركون فيها، كالصلاة فى جماعة، فإنّ كلّ واحد منهم تضاعفصلاته إلى سبع وعشرين ضعفاً لمشاركة غيره له فى الصلاة، فعمل غيره كان سبباً لزيادة أجره، كما أنّ عمله كان سبباً لزيادة أجر الآخر.

أضف إلى ذلك أنّ القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره، وإنّما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق كبير، فأخبر تعالى أنّه لا يملك

ص:۸۹

إلّا سعيه، فإن شاء أن يبدله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه، فهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلّابما سعى «(۱)».

الوجهٔ الثالث:

إنّ الآيهٔ بصدد بيان أنّ عمل كل إنسان راجع إليه دون غيره، وأين هذا من عدم انتفاع الإنسان بعمل الغير؟ فإنّه غير داخل فى منطوق الآيهٔ ولا فى مفهومها، ولا الآيهٔ ناظرهٔ إلى نفيه.

وإن شئت قلت: إنّ الآيهٔ بصدد بيان أنّ كلّ إنسان رهن عمله، فإن عمل شراً فلا يتحمّله غيره «ولا تَزرُ وازرةٌ وِزرَ أُخرى»، وإن عمل خيراً فيسعد به ويرى عمله وسعيه ف «الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر» و «مَنْ عَمِلَصالحاً فلنفسِهِ ومَنْ أساءَ فَعَلَيها» (الجاثيهٔ/ ۱۵)، «فَمَنْ يَعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرهُ ومَن يعمَلْ مِثقالَ ذرَّةٍ شرّاً يَرَهُ» (الزلزلهٔ/ ۷-/ ۸)، وهذه هى الضابطهٔ الأصليهٔ فى حياهٔ الإنسان عاجلًا وآجلًا، وليس لأحد رفضها والإعتماد على غيرها، ولكنّه لا ينافى جواز أن يهدى العامل ثواب عمله إلى غيره ويسعد الغير به فهو خارج عن مفاد الآيهٔ إيجاباً وسلباً.

وهذا مثل قول الوالد لولده: إنّما تنتفع بتجارتك وسعيك، وإنّ سعى كلّ إنسان له نفسه لا للغير، وهذا لا ينافى أن ينتفع هذا الولد بعمل غيره إذا أهدى إليه ذلك الغير شيئاً من الطعام والفواكه والألبسهٔ بنيات مختلفهٔ، فليس للولد حينئذ أن يعترض على والده ويقول: إنّك قلت إنّك تنتفع بسعيك مع أنّنى انتفعت بسعى الغير، إذ للوالد أن يقول: إنّ كلامى فى نفس العمل الصادر منك ومن غيرك، فكلّ يملك عمل نفسه

۱- التوسّل والزيارهٔ للشيخ محمّد الفقى: ۲۳۴، والمؤلف من علماء الأزهر الشريف.

ص:۹۰

ولا يتجاوزه، ولكن كلامى هذا ليس ناظر إلى ما لو وهب أحد حصيلة سعيه إليك بطيبة نفسه.

وكيف يمكن أن نقول بما يقوله هـذا الوهابى ونظراؤه وقد تضافرت الآيات والأحاديث- كما مر عليك بعضـها- بانتفاع الإنسان بعمل الغير فى ظروف معيّنه، وتحت شرائط خاصة وإن لم يكن له أدنى سعى فيها.

هـذه الآيـة تشير إلى نكتة وهى: أنّه يجب على الإنسان الاعتماد على السعى والعمل لا على الحسب والنسب، وإلّا يكون المسلم مثل اليهود الذين كانوا يتمنّون تمنّى الحمقى إذ كانوا يعتمدون عليصلتهم وانتمائهم إلى الأنبياء بقولهم: «نَحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبّاؤهُ» (المائدة/ ۱۸) أو قولهم: «لَنْ تَمسَّنا النّار إلّاأيّاماً مَعدودَة» (البقرة/ ۸۰).

نعم، هـذه- كما قلنا- ليست ضابطة أصلية فى سعادة الإنسان فى دنياه وأُخراه، وليس له أن يعتمـد عليها ويتّخـذها سنداً، وإن كان أمراًصـحيحاً فى نفسه، وليس كـل أمرصـحيح يصـح أن يعتمـد عليه الإنسان ويعيش عليه كشـفاعات الأنبياء والأولياء، فلا يجوز ترك العمل بحجة أنّهم يشفعون.

الشبهة الثالثة:

امتناع إسـماع الموتى، دلّت بعض الآيات على إمتناع إسـماع الموتى كقوله سبحانه: «فإنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتى ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا وَلَّوْا مُدبِرينَ» (الروم/ ۵۲).

وقوله: «وما يَستوى الأحياءُ ولا الأمواتُ إنَّ اللَّهَ يُسمِعُ مَنْ يَشاءُ

ص:۹۱

وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَنْ فى القُبورِ» (فاطر/ ۲۲).

ولكن الإجابة واضحة بوجهين:

الأول: إنّ هاتين الآيتين ناظرتان إلى الأجساد الموجودة فى القبور، فإنّها هى التى لا تسمع ولا تعى، والاتصال لا يكون بيننا وبين هذه الأجساد، بل يتحقق بيننا وبين الأرواح الطاهرة والنفوس الزكية الباقية الخالدة، وإن تبعثر الجسد وتناثرت أجزاؤه فالأرواح هى التى يُسلّم ويُصلّى عليها وهى التى تسمع وترد.

وأمّا الحضور عند المراقد التى تضمّ الأجساد والأبدان فلأجل أنّه يبعث على التوجّه إليصاحب تلك الأجساد ويكون أدعى إلى تذكّر خصاله وصفاته، وإلّا فإنّ الارتباط بهم والسلام عليهم يمكن حتى ولو من مكانٍ ناءٍ وبلدٍ بعيد، كما تصرح بعض أحاديث الصلاة على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

الثانى: إنّ المراد نفى الإنتفاع، وإنّ نفى السماع كناية عنه، بمعنى أنّ هؤلاء يسمعون منك فى الواقع ولكنّهم لا ينتفعون من قولك، كما أنّ أهل القبور يسمعون ولكنّهم لا ينتفعون به لفوات أوان السماع والعمل.

أو المراد نفى سماع القبول والإستفادة لا نفى أصل السماع «(۱)».

انّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، والسنّة الشريفة تزيل الإبهامات الطارئة على آيات الكتاب العزيز الذى نزل من عند اللَّه الحكيم العليم.

قال ابن القيم: أما قوله تعالى: «وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَنْ فِى القُبور» فسياق الآية يدل على المراد منها أنّ الكافر الميت القلب، لا تقدر على إسماعه إسماعاً ينتفع به، كما أنّ من فى القبور لا تقدر على إسماعه

۱- الدكتور عبد الملك السعدى: البدعة/ ۱۳۳.

ص:۹۲

إسماعاً ینتفعون به، ولم یرد سبحانه أنّ أصحاب القبور لا یسمعون شیئاً البته، کیف وقد أخبر النبیصلی الله علیه و آله أنّهم یسمعون خفق نعال المشیّعین، وأخبر أنّ قتلی بدر سمعوا کلامه وخطابه، وشرع السلام علیهم بصیغة الخطاب للحاضر الذی یسمع، وأخبر أنّ من سلّم علی أخیه المؤمن ردّ علیه السلام.

وقال أیضاً: هذه الآیة نظیر قوله: «إنَّکَ لا تُسْمِعُ المَوتی ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوْا مُدبِرینَ» وقد یقال: نفی إسماع الصم، مع نفی إسماع الموتی، یدل علی أنّ المراد عدم أهلیة کل منهما للسماع، وأنّ قلوب هؤلاء لما کانت میتةصماً، کان إسماعها ممتنعاً وبمنزلة خطاب المیت والأصم، وهذا حقّ، ولکن لا ینفی إسماع الأرواح بعد الموت، إسماع توبیخ وتقریع بواسطة تعلّقها بالأبدان فی وقتٍ مّا، فهذا غیر الإسماع المنفی «(۱)».

الشهبة الرابعة:

دلّت السنّة علی أنّ الإنسان ینقطع عملُه بعد موتِهِ إلّاعن أُمور ثلاثة: إذ یقولصلی الله علیه و آله:

«إذا ماتَ الإنسان انقطع عملُه إلّامن ثلاث:صدقةٍ جاریةٍ، أو علمٍ یُنتفع به، أو ولدٍصالح یدعو له» ولیس عمل الغیر أحد هذهِ الأمور الثلاثة، فلا ینتفع به.

یلاحظ علیه:

إن الحدیث یدل علی أنّ عمل الإنسان ینقطع بموته إلّاعن

۱- ابن القیم: الروح/ ۴۵-/ ۴۶.

ص:۹۳

ثلاثـهٔ، ولا یدل علی أنه لا ینتفع بشـیء من غیر هذه الثلاثهٔ، وکم فرق بین القول بالإنقطاع وعدم الإنتفاع، فإن الأوّل ناظر إلی الأعمال التی یقوم بها الإنسان فی حال حیاته، فإنها تنقطع بالموت بالضرورهٔ إلّاما کان له وجود استمراری کالأمور الثلاثهٔ، وأما الثانی فهو تعبیر أعمّ مّما یقوم به الإنسان بنفسه، أو یقوم به الغیر، فلا ینفی الحدیث إنتفاع الإنسان بعمل قام به الغیر وأهدی ثوابَه إلیه.

بعبارهٔ أُخری: الموضوع فی الحدیث هو الأعمال التی للإنسان فیها دور مباشر، أو تسبیباً کالولد، وأَمّا الأعمال الخارجهٔ عن هذا الإطار، التی لیست للإنسان فیها أیهٔ مدخلیهٔ إلّابایجاد الأرضیهٔ الصالحهٔ فهی خارجه عن موضوع الحدیث.

الشبهه الخامسهٔ:

الحوالـهٔ إنمـا تکون بحق لازم، وهی تتحقق فی حوالـهٔ المخلوق علی المخلوق، وإمـا حوالـهٔ المخلوق علی الخالق فأمر آخر، لا یصـح قیاسه علی حوالهٔ العبید بعضهم علی بعض.

الجواب: إن هـذا الموقف وهـذا الکلام إجتهـاد فی مقابـل النص، فقـد تضافرت الأدلـهٔ علی أنّ المیت ینتفع بعمل الحی، وقـد عرفت نصوصه کتاباً وسنهٔ، وبعد هذا فما معنی هذا الإستدلال؟

أضف إلیه أنه لیس هناک حوالهٔ مخلوق علی الخالق، وإنما هو امتثال لأمره سبحانه بأن نستغفر للمؤمنین ونصوم ونصلی عنهم ونحجّ وننحر عنهم، وإنا لو فعلنا ذلک لانتفع الأموات، ونحن نقوم بذلک حَسب أمر النبی، ولیس هناک حوالهٔ مخلوق علی اللّه.

ص:۹۴

هَبْ أنّ الثواب على العمل تفضلى لا استحقاقى وله سبحانه أن لا يعطى شيئاً للعامل، ولكنه سبحانه تفضّل وجعل ثواباً على العَمل ثم رخص فى أن يؤتى العمل بنيئة الميت ومن جانبه وإنه سيصل إليه الثواب، بل وتبرأ ذمته، فلا يصح لنا اللجاج والعناد فى مقابل النصوص تعصباً للمنهج.

الشهبة السادسة:

إنّ العبادات على قسمين: قسم يمكن فيه النيابة كالصدقة والحج، وقسم لا يمكن فيه النيابة كالإسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام، فهذا النوع يختصّ ثوابه بفاعله لا يتعداه ولا ينتقل عنه لغيره.

والجواب: إن هذا أيضاً اجتهاد فى مقابل النص، فما الدّليل على هذه التفرقة وقد شرّع النبى الصومَ عن الميتِ مع أنّ الصوم لا تدخله النيابة، واللَّه الذى وعد الثواب للحج والصدقة والعتق يتفضّل بايصال ثوابَ الصيام والصلاة والقراءة وغيرها مما يصح أن يفعله الغير تبرعاً إلى الميت.

وماذا تقولون فى قوله صلى الله عليه و آله: «من مات وعليهصيامصام عنه أبيه» وهو حديثصحيح.

وقال البيهقى: قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، عن ابن عباس، وفى رواية بعضهم: «صومى عن أُمّك».

وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عباس: جاء رجل إلى النبى فقال: يا رسول اللَّه إنّ أُمّى ماتت، وعليهاصيام شهر أفَأَقْضِى عنها؟ فقال

ص:۹۵

النبی صلی الله علیه و آله: «لو کان علیها دین أکنتَ قاضیه عنها؟» قال: نعم، قال: «فدین اللَّه أحق أنْ یُقضی».

وأخرج أصحاب السنن، وابن حبان، والحاکم فی المستدرک، والبیهقی فی «الشعب» والإمام أحمد عنه صلی الله علیه و آله: «یس قلب القرآن ولا یقرأُها رجل یرید اللَّه والدار الآخرة إلّاغفر له واقرأوها عند موتاکم».

وروی البیهقی: أنّ ابن عمر استحب أن یقرأ علی القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها.

الشبهة السابعة:

إنّ اللام فی قولهم: هذا للنبی أو للإمام أو للولی أو للوالد، هو نفس اللام الموجودة فی قولنا: نذرت للَّه، أو للَّهعلّی.

وعلی ذلک إن النذر للأموات شرک وعبادة لهم، بحجة اشتراک العملین فی الصورة.

ولکن المتوهم غفل عن اختلاف معنی اللام فی الموردین: فاللام فی قوله هـذا للنبی، نفس اللام الوارد فی قوله تعالی: «إنما الصدقاتُ للفقراء والمساکین ...» (التوبة/ ۶۰) ویختلف معناها مع الموجود فی قوله:

«ربِّ إنّی نذرتُ لکَ مافی بطنی محّرراً» (آل عمران/ ۳۵)، فإن اللام فیه للغایة، وبین المعنیین بون بعید، والذی یضفی علی العمل لون العبادة کون الشخص هو الغایة والمقصد لا المهدی إلیه.

ثم یجب أن لا ـ نحصر جواز إهـداء الثواب فی الأعمال المـذکورة فی الروایات، بل نعمّم الجواز بحیث یشـمل جمیع الأعمال، وذلک بالغاء الخصوصیة، فکما یجوز إهداء ثواب الصدقة والحج والعتق

ص:۹۶

یجوز إهداء ثواب قراءة القرآن إلی الموتی.

خاصة وأنّ هناک أحادیث مرویة عن أهل البیت علیهم السلام جوّزت مثل هذا العمل، وسوّغت إهداء ثواب قراءة القرآن إلی المیت، وصرّحت بوصوله إلیه وانتفاعهِ به، فلماذا یترک رأی أهل البیت علیهم السلام ویکتفی بقول أحد أئمة المذاهب الأربعة؟!

أفلا ینبغی الرجوع إلی قول أهل البیت علیهم السلام إلی جنب أقوال أئمة المذاهب الأربعة علی قدم المساواة؟!

وأظن إن للقوم وراء هذا الإنکار أهدافاً خطیرة، وهو: أن القول بعدم انتفاع الموتی من عمل الأحیاء ذریعة لانکار حیاتهم، وبالتالی إن الأنبیاء والأولیاء أموات لا ینتفعون بشیء مما یقدم إلیهم من أحبائهم وشیعتهم.

فإذا کانوا کذلک فما معنی التوسل والإستغاثة بهم وندائهم؟

بحث فی النذور:

قد تفضل رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فضحّی عن أُمته أَحیاءً وأَمواتاً وضحّی الصحابة والتابعون عن نبیهم، فقد أخرج ابن ماجة وعبد الرزاق وغیرهما عن عائشة وأبی هریرة: أن النبی (ص) کان إذا أراد أن یُضحِّی اشتری کبشین عظیمین سمینین أقرنین ... فذبح أحدهما عن محمّدٍ وآل محمّد والآخر عن أُمته من شهد للَّهبالتوحید وله بالبلاغ.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذی: أن النبی ذبح بیده وقال:

«اللّهمّ هذا عنّی وعمن لم یُضحِّ من أُمتی» وصریح ذلک وصول الثواب إلیهم وانتفاعهم.

ص:۹۷

روى أبو داود بسنده فى باب الأضحية عن الميت، عن على بن أبى طالب: إنه كان يضحى عن النبى بكبش وكان يقول: «أوصانى أن أُضحى عنه فأنا أُضحى عنه» «(۱)».

ما يترتب على هذا الأصل:

ويترتب على هـذا الأصلصحة عمل المسلمين، حيث يقدمون بأعمال حسنةصالحة، وربما أهدوا ثوابها إلى أحبائهم واعزّتهم الموتى، وهو أمر يوافق عليه الكتاب والسنة، بلصرّحا به تصريحاً.

فمـا يقوم به المسلمون لموتـاهم من إهـداء ثواب الأعمـال الصالحة لهم، أو مـا يفعلونه عنـد قبور الأنبيـاء والأوليـاء من إطعام الطعام، وتسبيل الماء بنيّة أن يصل ثوابُها إليهم إنّما يقتدون فيها بسعد بن عبادة الذى سأل النبى عن حكم الصدقة عن أمّه أينفعها؟ فقالصلى الله عليه و آله: «نعم»، فقال: فأىّ الصدقة أفضل؟ قال: «الماء»، فحفر بئراً، وقال: هذه لأُم سعدٍ.

فهم فى هذا سعديون لا وثنيون، لا يريدون عبادة الموتى، بل يريدون إيصال الثواب إليهم كما فعل سعد.

وآخر دعوانا أن الحمد للّهربّ العالمين

۱- سنن ابى داود ج ۲: كتاب الضحايا.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم
جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.
- من الأنشطة الواسعة للمرکز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ
ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)
ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS
ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة
ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنَّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹